بين عالمين

تأليف

إيناس عادل مهنا

المقدمة

أتمت لوحتها وثبتتها على الجدار، استلت سكينا شجت فيه إصبعها وشرعت تخطيا بدمها أسفل اللوحة (ست الحبابي) حالها كحال عشرات الرسومات السابقة علقتها الآن بنفس الترتيب والتنظيم والدقة.

فتاة لم تبلغ العشرون بعد ، اكتست روحها الشيخوخة والألم قبل أوانها، لها جسد نحيل قمحي اللون ذو وجه لم يخف الشحوب جماله، وعينان ذابلتان بلون تراب الأرض، أما شعرها الأسود الطويل تبقيه حرا دائما فهو الوحيد القادر على التمرد والانفلات دونما تقييد...

وها هي تعود إلى موطنها الصغير الذي فارقته لأكثر من عشرة أعوام، منزلها البسيط القابع بأحد الأحياء الفقيرة والذي يطل على حديقة قفرت نباتاتها وتعرت معظم أشجارها فتشابكت وشائجها كأشباح تحوم في ليل بهيم، وفي داخل الدار الذي كانت تهابه كمهابة الموت ابتسمت بحنين غريب، حنين تذبذب بخوف أليم، غرفتها وفي ليلة واحدة غدت معرضا دمويا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى والدليل تلك الصور المرسومة لوجوه نساء مشوهة المعالم والملصقة على الحائط، رسومات تكومت بحقيبتها على مدار عشر سنوات والآن حان وقت ظهورها، تراجعت إلى الوراء مبتسمة راضية ومسحت السكين بثوبها الأبيض ووضعته جانبا والدماء ما تزال تنز من جرحها، شرعت تنظر بعينين هائمتين إلى اللوحة الجديدة، تتأرجح بجسدها وهي

ترتل الترنيمة المعتادة بصوت متهدج ضائع الأوصاف مبعثر الأحرف، ترنيمة تؤديها وكأنها تتلو صلاة كل يوم:

- ست الحبايب... يا حبيبة

يا أغلى من روحي ودمي.

يا ءءء...

توقفت الكلمات الباقية تأبى الخروج، انكبت على الأرض تضحك وتقهقه عاليا، ندت دمعة يأس من عينيها فتكومت على نفسها ليغطيها بحنو بالغ شعرها الحريري الأسود وكأنه يستشعر ما تعانيه وراحت بسبات على تلك السجادة العتيقة المغبرة التي تفترش الأرض.

* * * * *

استيقظت من رقادها بلا روح أو حياة، جمدت حافية القدمين تسرح شعرها وهي تنظر عبر المرآة بعيون ذابلة أنهكها الحرمان والألم لسنوات طوال.

فرغت وهبطت السلم وتوجهت إلى المطبخ، أخرجت أكياس مشترياتها المكونة من خبز وجبن وشاي، أعدتها وجلست على المائدة محدقة بالفراغ، صبت الشاي وتأملت البخار المتصاعد من الكأس وشربته بمرارة كالعلقم وبدأت تلوك الخبز بهدوء.

بعد دقائق خرجت إلى فناء المنزل بثوبها الصيفي رغم برودة الجو وتلبدها بغيوم داكنة وجلست أسفل الشجرة الكبيرة عارية الأغصان، تعلقت نظراتها على الهريرة البيضاء وهي تلهو مع والدتها... تبسمت نرجس، لكن السماء بكت فهطل المطر لتتوارى القطة مع صغيرتها داخل

صندوق قديم ووقفت نرجس تحت زخات المطر، أمسكت غصنا خشبيا وحفرت طريقا من البركة التي تكومت فيها المياه إلى الشجرة وراقبت انسياب الماء.

رفعت بصرها إلى الأغصان الجافة والأوراق الصفراء التي تساقط معظمها قائلة بصوت مختنق: (لن تموتي كحالي) قالتها بصوت هامس واقتربت من شجرتها العجوز أكثر، ركعت أمامها وتلمست النقوش التي كانت تحفرها مع والدها على جذعها مذ كانت طفلة ثم ولجت داخل المنزل وصعدت الدرج عائدة إلى غرفتها، إلى عالمها الذي كونته وحفرت تفاصيله بأناملها الدامية، خلعت ثوبها وألقته أرضا وجلست القرفصاء على السرير تضم ساقيها ترتعش بردا وعادت لتأمل الفراغ تحدث نفسها بصوت مسموع:

- سأنسى "

أدارت وجهها ناحية النافذة المفتوحة ذات الستائر البيضاء المتراقصة ورفعت بصرها إلى السماء الملبدة بالغيوم الماطرة، تناجي الله سبحانه، تتضرع بخشوع بعيون تتحجر الدموع فيهما: يا الهي... ساعدني.

سحنة ذابلة وروح اكتستها الشيخوخة قبل أوانها، روح مضعضعة الفؤاد، تتمنى تمحي كل ذكرى مريرة عاشتها ولكنها تفشل، في كل مرة تقرر فيها بدء حياة جديدة يكتسحها الماضي بآلامه. تتلقفها عذابات ذكريات قاتلة.

أقبل الصباح مجددا كعادته البغيضة حاملا أشنع الذكريات وتنقلت بأرجاء المنزل الموحش الذي كرهت كل تفصيل فيه ولكنه ملاذها الوحيد الآن فلا مكان آخر تلتجئ إليه شرعت تحاول تنظيف المكان متجاهلة غرفتهما التي التهمتها أتربة السنوات الغابرة.

تجلت هيئته أمامها وهو يحمل لها الهدايا والألعاب، تذكرت ابتسامته الجميلة وعطفه وصوته العذب الحنون، كان والدها فارسها القوي محور كل الكون وبعد موته مات الكون بالنسبة إليها، دمعت عيناها وجلست على الأريكة بغرفة المعيشة ذات الأثاث الذي التهمته سنوات من الإهمال تنظر إلى النافذة بشرود حتى هاجمتها ذكرى الستائر في ذلك اليوم الذي لن تنساه منذ أكثر من إحدى عشرة عاما.

نهضت راكضة نحو الستارة، ارتجف جسدها ثم حدجتها نظرة لوم، وكأنها السبب بكل ما جرى... سحبتها بقوة لتسقط على الأرض ولتتطاير الأتربة المغبرة مشكلة سحابة خانقة... بأسفلها مباشرة تلك الوردة الحمراء مرمية بعد أن سلبتهما السنون الحياة، تناولتها بحذر وتساقطت دموع الألم، وأضحت تلك الطفلة الصغيرة تنهش ذاكرتها من جديد...

ومن خلف الستار عادت بالزمن إلى الوراء... طفلة صغيرة كانت لا تتعدى العشر أعوام تستمع لهمسات وضحكات لم تميزها بادئ الأمر... كادت أن تخرج لتستطلع حتى سمعت صوت انفراج باب الشقة، واقتربت الخطوات شيئا فشيئا حتى صار الرجل قبالة باب غرفة نومه دفع الباب وكاد أن يدخل ولكنه تجمد في مكانه لتشهد عيناه ما لم تشهده هذه الطفلة من خلف ستار غرفتها...

كان الظلام قد خيم بسطوته الأرض كما خيمها على قلوب وضمائر بعض البشر، والمشهد كان يحمل مرارة جعلت الرجل يجمد لتتجمع العبرات في مقلتيه وهو يحمل الوردة الحمراء بين يديه تملكه الصقيع من خيانة زوجته وأعز أصدقائه وفي يوم عيد زواجهما!... اندفع وائل بلا تفكير ناحية عمر بعد أن استل مقصا كان أمامه على طاولة الزينة وعمر ما يزال جامدا بعد أن شهدت عيناه الفاجعة...

رفع وائل السكين وهوى فيها على صديقه طاعنا إياه لتتناثر دمائه شهق عمر مستفيقا من سكرة الخيانة على وجعٍ جسدي قاتل ليدافع عن نفسه وشرفه لكن وائل كان أسرع منه وتوالت طعناته والأخير يحاول المقاومة عبثا... فسقط الرجلان على الأرض ....وعمر ما يزال مقاوما هلاكه الحتمي... كتمت روان شهقاتها المرعوبة من دخول زوجها المفاجئ بعد أن كان مخبرا إياها أنه مسافر ولن يعود قبل أيام... استجمعت شجاعة لتنطلق ناحية الرجلين الذين يتعاركان... وقبضت على شعر عمر لترفع رأسه وصرخت بوائل بذعر: أنهي ما بدأته...

تطلع فيها وائل بعد أن زاغت عيناه وهز رأسه موافقا ومرر السكين على عنق عمر ونحره ليهمد الأخير شاخص البصر تجاه وجه زوجته الخائنة...

تراجع وائل لاهثا وهو ما يزال على الأرض ومسح بكم قميصه وجهه الذي تلطخ بالدماء وتمتم: هو... من جنى على نفسه.

ومن خلف الستار كانت الصغيرة قد أجلت... لأحراك ولا صوت، حتى الدموع لم تعرف طريقا إليها، الصدمة كبلت الدموع لتختنق في مقلتيها، نهضت روان أخيرا وقد أمسكت شعر رأسها بعصبية وتوتر تسأل عشيقها: والآن.

رمى وائل السكين ثم همس بتوتر: سنتخلص من الجثة... لكن الصغيرة أين هي؟.

انفرجت عينا روان وقد تذكرت طفلتها النائمة في فراشها واندفعت ناحية الرواق لتطمئن على نرجس... سحبت الستار لتجحظ عينا الأم المغرقة بالدماء ولتتعلق نظرات نرجس علها...

تعالى بكاء روان فقد أيقنت أن الصغيرة شهدت وقائع الجريمة وكادت أن تنهار فاندفع وائل وحمل الصغيرة ورماها بداخل غرفتها وأقفل الباب ثم كمم فم روان: إياك والصراخ... ستنسى، ما تزال طفلة، هناك موضوع أهم علينا الانشغال به الآن

كانت نرجس ما تزال على الأرض تطالع الباب المقفل والذي تلوث مقبضه بالدماء... بدماء والدها المغدور... زحفت على الأرض واستندت على الباب وقد تحررت دموع عينيها، وبعد دقائق قليلة موجعة مرت استمعت لصوت حفيف مزعج، كصوت كانت تسمعه حينما يقوم والدها بنشر قطع الحطب ليشعل فيها المدفأة ليبث الدفء في جسدها الصغير... لكن هذا الصوت قد أصاب جسدها بالارتعاد والقشعريرة... وخلف صقيع مريعا فيها.

ومن خلف الباب، وبداخل الصالة كان العشيق ينهي ما بدأه برفقة روان التي ثبتت أطراف زوجها ليستكمل وائل تقطيعه بالمنشار كي يتخلصا من الجثة نهائيا بطريقة تجعل من حملها ورميها أمرا سهلا... الدماء أغرقت السجادة وصوت صفير رياح الشتاء البارد باتت كالنواح

وفي غرفة الفتاة هب الهواء لتفرج النافذة على مصراعها استدارت نرجس بذعر من الصوت وحدقت فيها قبل أن تهرول ناحيتها وتحاول حشر جسدها الصغير بين قضبان النافذة لتخرج

إلى فناء المنزل... أحست والدتها على صوت سقوط الفتاة على الورق الجاف وصوت خطوات صغيرتها، أزاحت ستار نافذة الصالة تستبين الأمر وشهقت: هربت البنت!!

كاد وائل أن يستوقف روان من اللحاق بابنتها لكن الأخيرة كانت قد تجاوزت عتبة الباب وهرعت خلف صغيرتها فأدرك وائل أنه هالك لا محالة من غباء الطفلة ووالدتها، هرع ناحية الغرفة وخلع عنه ملابسه ثم انتقى من ملابس عمر_صديق العمر_بنطالا وقميصا ارتداهم على عجل وسح آثار الدماء عن وجهه وكفيه، أخفى ملابسة الملوثة بالدماء في كيس بلاستيكي وفر هاربا من المنزل... بينما روان صارت تعدو خلف طفلتها الصغيرة ترجو المارة أن يوقفوها حتى وقع الأمر وانتهى بحادث مروع للأم بعد أن دهستها شاحنة مسرعة فخرت صريعة، تمزق جسدها وتشوهت معالمه نتيجة قوة الارتطام مع سرعة الشاحنة وتلطخت الأرض بالدماء للمرة الثانية هذه الليلة، كان ذلك أكثر من طاقة نرجس على الاحتمال، أن تخسر حياتها وطفولتها، أباها ووالدتها في يوم واحد

. اقتربت من والدتها الملقاة بوسط الطريق ووقفت تتأمل هذا الجسد المشوه والمدهوس بشناعة

تأملته مطولا دون ان ترتجف أو تفزع، راقبت الجثة بعينان ذاهلتان متحجرتان ارتسمت معالمه بأدق التفاصيل، وسقطت دمعة لا غير من طفلة ماتت أحاسيسها وتمزقت بلحظة واحدة وماهي إلا دقائق حتى تجمهر الناس حولهما وسحبها أهالي القرية من موقع الحادث

وهنا بدأت الحكاية.

حكاية نرجس...

(1)

صحت من رقدة الماضي على صوت طرقات على الباب، ألقت الوردة التي جفت على أوراقها دماء الخيانة والغدر ونهضت لتستجيب، ومن خلف الباب تقف جارتها (أم على) لم تعرفها بادئ الأمر لأن عشر سنوات وقت طويل خاصة أنها ازدادت بدانة عما ألفتها! لكنها تذكرتها أخيرا لترسم ابتسامة خجلة وتدعوها إلى الدخول.

- حمدا لله على سلامتك علمت أنك قد خرجت من الميتم ولكن لم أستطع المجيء إلا الآن.

ولجت أم علي وهي تحمل بيدها صحفه طعام وضعته على المنضدة وهي تتلفت حولها لتتذكر هذا المنزل الذي كان محط زيارات يومية منذ عشر سنوات وأكثر، جلست على الأريكة وخلعت الوشاح المزركش ليستقر على كتفيها العريضين واستدارت ناحية نرجس تطلعت فيها بحنو شديد: ما شاء الله! لقد كبرت وأصبحت آية في الجمال ولكن ما لهذه العيون تبدو ذابلة! يجب أن تسعدي لأنك قد خرجت... أنا آسفة أن كنت قد أزعجتك بكلامي هذا ولكن كلنا نعرف سمر وكيف تتصرف مع بنات الميتم، قد سافرت لأقابلك عدة مرات بادئ الأمر ولكن لم أستطع

الدخول فلم تسمح لي برؤيتك بحجة أنك ممنوعة من الزيارة بسبب التحقيق بشأن قضية مقتل والدك وما إلى ذلك "فصرت اطمأن عليك من خلالها عندما تعود كل أسبوع إلى دارها.

أرادت أن تنهي الموضوع بأية وسيلة وتسكت هذه الجارة التي نبشت الماضي بطريقة لا ترحم، تنحنحت بارتباك وهي تجيبها:

- الحمد لله أني تخلصت منها، لم تخبرني أبدا أن أحدا جاء لرؤيتي، كنت دائما وحيدة هناك ولم يسأل عني حتى أقاربي، نبذني الجميع دون أن يكون لي ذنب بما حدث، أما الآن فلا أريد أن أتذكر شيئا من الماضي يا خالة، فقد كان صعبا ومؤلما، سأبدأ حياة جديدة وسأجد عملا أعطال منه.

احتضنت أم على كف نرجس وربتت عل فخذها قائلة بحنو:

- وأنا سأساعدك بأي شيء تحتاجينه لا تتردي بطلب ما ينقصك.

انتهت من الحديث مع أم علي التي غادرت بعد مضي ساعتين تقريبا، أغلقت الباب، ضربت رأسها فيه واستكانت عليه. ثم مسحت دموعها، سحقت الوردة الجافة بقدمها وركضت إلى غرفتها تستبدل ملابسها فقد آن الأوان لتعيش، أن تخرج من قوقعة الماضي الذي حبست فيها مرغمة...

ارتدت عباءة سوداء، ضفرت شعرها والتحفت بوشاح خفيف ثم خرجت من المنزل وجالت الطرقات تستذكرها، خطت بين المحال التجارية تبحث عن عمل أي كان نوعه، لقد تطورت قريتها كثيرا بمرور السنوات حتى سكانها، فمن كانوا شبابا غزا الشيب رؤوسهم صديقات

الطفولة أصبحن زوجات وأمهات رغم سنهن الصغيرة! سألت الكثير عن عمل لكن ما إن يعرفوا ابنة من تكون حتى تنقلب معاملتهم لاحتقار، محاولات عديدة دون جدوى... طرقت أبواب جميع معارف أهلها وأصدقائهم ولكن هي ابنة قاتلة وخائنة هذا ما يذكره ويعرفه جميع أبناء حيها فكثرت الأقاويل والادعاءات وطالها ذلك منذ زمن طويل، الناس لا تنسى ولا ترحم، كان الجميع كالوحوش الثائرة، والأفواه عادت تتمالك حكايتها من جديد، وحكاية والدها الذي وجده رجال الشرطة مقطع الأوصال في صالة المنزل... وجثة والدتها المدهوسة بشناعة تماثل ما اقترفته يداها...

ضاقت حالها كثيرا حتى أم علي كانت تساعدها ثم ما لبثت أن انشغلت بحياتها هي الأخرى وخشيت أن يطالها غضب أبناء الحي

وكان يوما حارا حينما تجولت في الطريق مفكرة هل تختفي بمكان لا يروي أحد فيه قصتها، لكن إلى أين المفر وهي لا تفقه بهذه الحياة سوى قريتها والميتم الذي اقتنص طفولتها، ومن وسط أفكارها المتلاطمة لمحت مجموعة سياح ينطلقون برحلتهم وقفت لبرهة تتأملهم، أطلقت تنهيدة عميقة وذاكرتها تنبش رفات الماضي عن والدها الذي كان يعمل كدليل سياحي، يعرف السائحين على حضارة بلاده وآثارها العظيمة، تذكرت الأماكن الأثرية التي كان والدها يعشقها في مصر ويأخذها إليها، كتبه التاريخية التي تعشقها رغم سنها الصغيرة، حيث كانت تراه خلف المكتب يرتدي نظارته ويقرأ، يقرأ لساعات طوال دون ملل، وحينما سألته مرة: ألا تمل القراءة؟؟

ليمسح شعرها بيده مجيبا: وهل يمل أحدهم من التنفس أو تناول الطعام!

عزمت أمرها وقررت التوجه إلى موقع سقارة القريب من قريتها، علها تتذكر الماضي مع والدها حينما كان يصحبها إليه، وبعدها ستسافر هربا من ماض بات كتابوت خانق.

وانطلقت متوجهة نحو الطريق الرئيسي لتستقل الحافلة، إحدى عشرة عاما مرت لكن هذا الطريق لم يتغير البتة، ترائي لها الحادث على نفس الطريق، وارتسمت صورة والدتها والدماء التي أغرقت الطريق ببقعة كبيرة لولا مرور السنوات لبقة ملتصقة كوصمة عار على حياتها، أغمضت عيناها تحاول وأد تلك الذكرى ورغم حرارة الجو، إلا أن الحرارة الحقيقة تستوطن فؤادها فتحرقه دون رحمة، أخرجت قارورتها وصارت تعبّ الماء عباّ علّه يطفئ اللهيب الذي استوطنها،

وصلت إلى سقارة ترجلت وأخذت نفسا عميقا، كان الموقع مكتظا بالسائحين أغمضت جفنيها تحاول خنق دمعات قررت أن تروي جفونها ثم رفعت أهدابها بهدوء وأول منظر وقع نظرها عليه هو هرم زوسر المدرج، سارت بخطى بطيئة وواثقة فهي تعرف طريقها جيدا وكأنها قد تركته البارحة، وعند تفرع الطريق، اتجهت جنوبا وبدأت بزيارة الهرم ومجموعته الجنائزية، ابتسمت بسعادة وسكينة حينما أبصرت والدها يتوسط مجموعة من السياح يشرح لهم عن الموقع الأثري وفخامته... تركت قلبها مع ذكراه وأكملت المسير، كانت تعشق الآثار كوالدها ورثت عنه هذا الحب وكان ملاذها الوحيد للهروب من الواقع المرير في الميتم هو قراءة كتب التاريخ المصري القديم

ساعات قضتها تتجول تحت أشعة الشمس وذرات الرمال اللاهبة التي تلقيها الرياح بين فينة وأخرى، تزاحمت ذكرياتهما سويا وتدفقت، أسرعت الخطى ودخلت الرواق الضيق تتأمل تلك

النقوش الفرعونية التي تزين الممرات وتتلمس الرسوم التي تمثل الموت والحياة للفراعنة وتحكي قصص وأخبار أجدادها، بالإضافة لعدة صور للملك زوسر وزوجته، منقوشة ببراعة وإتقان

وصلت إلى مقبرة (تيي) سارت عبر مدخل صغير يؤدي لحجرة كبيرة، هبطت الدرج الذي يتوسط الحجرة تتلمس نقوش أجدادها على الجدران برهبة، بضع درجات متآكلة نزلتها لأسفل أوصلتها لرواق سفلي طويل ومعتم أودى بها لحجرة الدفن، بمنتصف الحجرة تابوت حجري كبير فارغ مهدم معظمه، تأملت ذلك التابوت ودارت حوله.

شعور رائع اجتاح كيانها وشدها إليه لم تستطع تفسيره وكأن الفرعون الأعظم يناديها، لم تفهم كيف قادتها قدماها لتخطو داخل التابوت وترقد فيه مغمضة عينيها متنفسة بعمق، وكأن هنالك ما يسلب منها ببطيء، كأن روحها تغادرها بهدوء وروية. انتظم تنفسها بعد برهة وشعرت بسكينة غريبة، فجأة ساد الظلام المكان وأغلق الباب الحجري بقوة إثر ريح عاصفة هبت وأصدر انطباق الباب صوتا مهولا، رجفة زحفت بأوصالها وصرخت بصوت تجلجل ليرتد لها أضعافا مضاعفة وهنا ظهر دخان أخضر، من كل مكان كان ينبثق نوره الخافت وأدركت مئات العقارب تتقافز من فجوات الجدار الحجري

أنا أحلم... هذا حلم بالتأكيد! "قالتها بفزع حينما كادت العقارب أن تتسلق جدران التابوت لولا ظهر شخص متسربل برداء أسود طويل لا وجه له ولا معالم، سوى فجوة سوداء مهولة مستعدة لابتلاع الحياة وكأنها العدم نفسه، تقدم نحوها ببطيء ثم فتح ذراعيه اللتين استطالتا وتدلى منهما رداؤه الممزق، تكلم فخرج صوته غريبا مهيبا وكأنه قادم من الأعماق السحيقة

للجحيم بكلمات لم تفقه فيها حرفا، بضع كلمات نطقها فترجرجت أرضية التابوت من أسفلها قبل أن تتحطم وشعرت بنفسها تهوي وتهوي من الظلام وإلى الظلام.

* * * * * * * * * * * * * * * *

(2)

لحظات حتى صحت من صدمتها نهضت وتلفتت حولها فإذا هي بغرفة اكتست جدرانها بزخارف فرعونية وكأنها قد رسمت منذ مدة قصيرة فقط، نظرت لأعلى ولكن لا شيء سوى الفجوة التي سقطت منها...! الغرفة فارغة تكسو أرضيتها الرمال ومرآة كبيرة معلقة على الحائط ولا باب أو نافدة لها.

إلهي... ما هذا المكان؟!-

تساءلت بفزع وتقدمت من أحد الجدران وبدأت تدفع بباطن كفها بكل قوة علها تلتمس ثغرة ما أو حفرة مخفية للخروج لكن عبثا، حاولت التماس الجدران حتى الأرضية بدأت تحفر برمالها لتخرج لكنها لم تفلح. اقتربت نحو المرآة فضولا فتبينت لها امرأة فرعونية، ابتسمت لها تلك المرأة بعينين دامعتين وبدأت بتحريك شفاهها وكأنها تحاول قول شيء ما. تراجعت نرجس بذعر ولم تفهم ما تود تلك المرأة إخبارها به وتلك ما زالت تحرك شفاهها بيأس ونتلمس بدورها المرآة حتى اكتست ملامحها الغضب واكفهر وجهها وبدأت كلمات بلون أسود ترتسم حرقا على الأرض الرملية تحت قدميها تراجعت إلى الخلف مسرعة ونظرت للأسفل...

(رقدت بتابوت الخلاص فحررت التعويذة ووثقت العهد ")

أجلت خوفا من تلك الكلمات الغريبة ونظرت إلى المرآة مجددا وكادت أن تقترب إلا أن قوة جعلتها تثبت مكانها وكأن قوة خفية تمنعها عن الحراك.

اكفهر وجه المرأة من داخل المرآة وعادت للحديث بصوت غير مسموع ولمعت عينيها بلون جهنمي سالت منه دما انبثق من المرآة ليتساقط كقطرات على رمال الأرض، وعاودت الكلمات ترتسم على الأرض ثم تتلاشى بسرعة

رقدت بتابوت الخلاص فحررت التعويذة ووثقت العهد "

وبلحظة تكسرت المرآة وتناثرت مع انطلاق دخان كثيف منها جالت سماء الحجرة قبل أن يهبط ويرتطم بها بقوة فسقطت أرضا مغشيا عليها مدة من الزمن، وبعدما استعادت وعيها أدركت أنها على فراش وثير في حجرة غير التي كانت فيها، نزلت عن السرير بتوجس فسمعت صوت رنين نظرت لأسفل لتكتشف أن كاحلها يتزين بخلخال فضي، وترتدي زيا فرعونيا!.

تلفتت حولها بذعر فأدركت المرآة ذاتها تقدمت نحوها بسرعة تطلعت إلى نفسها لترى الزي، تلمست وجهها وما آل عليه شكلها، إنها الآن تتشابه إلى حد كبير أو مطابق للمرأة التي كانت تحادثها قبل قليل؟! والتفتت بسرعة وأدركت أنها انتقلت إلى الجانب الآخر من المرآة بطريقة ما، شعرت بدوار خفيف استندت على المرآة فاكتست المرآة باللون الأسود، تراجعت قليلا ونقرت عليها بإصبعها ودققت أكثر ولكن لا شيء مجرد سواد!

- ما الذي يحصل معي؟!

خرجت بتردد من الحجرة وما زالت الصدمة تتملكها، شرعت تسير في رواق طويل مضاء بمشاعل تتراقص نيرانه على الحائط الحجري عاكسة ظلها ويتردد خلفها صدى خطواتها المترددة، حجرات كثيرة وممرات متشابكة كانت تقابلها حتى وصلت لصالة ما!

كان معبدا تتوزع المشاعل على أركانه بالإضافة إلى بضع أعمدة ضخمة تصل السقف بالأرضية منقوشة باحتراف كبير، مرت برجال عاري الصدور وآخرون يرتدون عباءات سوداء بقلانسي على رؤوسهم يسجدون لأوثان ويقدمون لها القرابين من مآكل ومشارب وذهب

- أستغفر الله العظيم، هل أنا احلم...

مئات الأسئلة تتناحر بخلدها، والرجال المحيطون فيها يتمتعون بكلمات غريبة، حتى أبصرته، كان هو الشخص نفسه المتسربل برداء أسود يقف أمام المدخل الثاني للمعبد.

سمعت صوتا أنثويا وكأنه من داخل عقلها يقول اتبعيه. نظرت حولها وارتجفت خوفا عندما عاود الصوت ليحثها:- قبل أن يغادر... الحقي به.

تلفتت حولها بتوجس ثم تشجعت أخيرا وقررت التوجه إليه فهو بالتأكيد سيروي فضولها بمعرفة ما يجري وبعدها ستعرف ماهية الصوت الذي يتكلم، أسرعت الخطى فسار مبتعدا ودخل سردابا مظلما فبدأت تصيح:

- قف أرجوك من أنت؟ وأين أنا.

ولكنه تجاهلها وتابع المسير بين الممرات أو الطيران فقدماه كانتا لا تلامسان الأرض! عرج على حجرة ما فانسلت ورائه لكنه اختفى فجأة وسط عشرات من الرجال والنساء منتشرون بقاعة مزينة، يتوسطها طاولة كبيرة مليئة بشتى أنواع الأطعمة والمشارب، وكأنه احتفال ما.

فرعون شاب جالس على عرشه يبتسم ويتمايل طربا، نساء ترقص وأخرى تعزف وتغني وهي تسير بينهم ولا تفقه شيئا مما يدور حولها!! أدركت مجموعة سحرة تقوم بأعمال خفة ويستعرضونها أمام الحضور، وهي تجول بعينيها عن ذلك الغريب التقت أنظارها بنظرات الفرعون الشاب فنهض قائلا:

- إيزيس يا ملكة قلبي ومالكة روحي... شاركيني المجلس

تحيرت منه وتطلعت خلفها ظنا منها أنه يخاطب امرأة أخرى لكن لم ترى أحدا فترددت قليلا قبل أن تستجيب لندائه صارت قبالته فأشار لها أن تجلس جواره:

- مبهج هذا الاحتفال.

تبسمت للفرعون ولم تدري فيما تجيبه. وبدأت تنظر إلى هذه الأجواء المبهجة واندمجت تماما بهذا الاحتفال ونسيت نفسها فيه، حتى اقترب رجل حسن الوجه معتد بنفسه، يمشي بخيلاء، عيناه على الرغم من جمالهما إلا أنهما تحملان مكرا وخبثا واضحين، صوت أنثوي بداخل عقلها صاح بعدائية: (اللعين) أجفلت نرجس تحاول فهم كنه هذا الصوت ولكن هذا الرجل وبصوت غليظ قال:

- أوزيريس، يا فرعون مصر العظيم نحتفل بك الليلة لنمجدك ونعبر عن ولائنا.

- أهلا بك يا أخي... لتبارك الآلهة صنيعك هذا"

- المرح الحقيقي لم يبدأ بعد "قال ست هذه الكلمات وصفق بيديه حتى حضر مجموعة رجال يحملون تابوتا منقوشا ووضعه بمنتصف القاعة، أكمل ست حديثه المنمق لكن بصوته الجهوري ليسمع الجميع ما يريد قوله: والآن أيها الحشد الكريم فلنمرح قليلا ولنلعب هذه اللعبة ولنرى على مقاس أي من الحاضرين سيكون التابوت ومن يكون على مقاسه سأقدمه هدية له، وسأبدأ أنا به لعله يكون من نصيبي"

ضحك الحاضرون بعد أن اخذ الخمر بعقولهم وقهقه ست بخبث واستلقى بداخل التابوت ولكنه كان قصيرا عليه فأثنى ركبتيه فتعالت الصيحات والضحكات وجاء رجل آخر ليرقد بداخله وتشجع الحضور وبدؤوا يجربون الرقود فيه واحدا تلو الآخر والفرعون الملك يطالعهم ويقهقه وست يطالع الملك بعينيه الداكنتين ثم قال بإصرار:- حان دورك يا أخي جرب هذه اللعبة لعلك تكون من الرابحين ويكون من نصيبك.

عاد الصوت الانثوي من جديد صائحا بنرجس: امنعيه

وقف الملك ومشى وبيده كأس من الخمر ركضت نرجس تحاول اللحاق بالفرعون ولكن ست أمسك ذراعها وشدها بقوة هامسا:

- اللعبة خاصة بالرجال مولاتي...

حدقت فيه نرجس بعدائية في حين استلقى الفرعون داخل التابوت فكان على مقاسه تماما وبدأ يضحك صارخا: أنا الرابح، لقد ربحت

فاقترب منه ست بمكر مجيبا: بالتأكيد أنت الرابح وسيكون لك إلى الأبد "

نظر لشقيقه المستلقي نظرة أخيرة وما هي إلا لحظات ونادى ست جنوده:

- أغلقوا التابوت وارموه في النيل" انصاع الخونة ونفذوا ما أمرهم به، شعر أوزيريس بهلع بعد ان التهمته عتمة التابوت، شرع يصرخ ويستغيث ويضرب داخل التابوت والحضور يضحكون من شدة ثملهم أفلتت نرجس من قبضة ست الذي بقي متمسكا بها طوال تلك الفترة ولحقت بهم خارجا، كانت السماء تتلبد بالغيوم والريح عاصفة فتهتز الأشجار مصدرة صوت صفير وحفيف حاد، اختبأت وراء إحدى الشجيرات وراقبتهم وهم يلقون بالتابوت في النهر وست واقفا بكل شموخ يضحك كشيطان رجيم واختلطت ضحكاته بصراخ عال من عقل نرجس التي أمسكت رأسها ألما منه، فصرخ ست بأعلى صوته ملوحا بيديه:

- وداعا وشكرا لك، عرشك الذهبي وفراشك الدافئ أصبحا لي الآن، بل ومن على فراشك كذلك فزوجتك الجميلة باتت ملكا لي.

ثوان وبرقت عيناها بلون مغاير وشعرت بألم رهيب يكتسح جسدها، بعد مغادرة ست وجنوده عاد الصوت وأمرها قائلا: الحقي به، أنقذيه.

فبدأت تركض لتلحق بالتابوت محاولة إنقاذ الملك وكأنها مسيرة لا مخيرة.

تخبط التابوت بمياه النهر وجرفته التيارات ونرجس تركض على جانبه بسرعة بين الأشجار تحاول الوصول إليه بأية وسيلة كانت، وعندما اقترب التابوت من طرف النهر ألقت بنفسها في الماء وسبحت باتجاهه وبدأت بسحبه بكل قوتها إلى اليابسة.

وصلت أخيرا بعد أن خارت قواها وبدأت تفتح التابوت. عدة محاولات حتى نجحت أخيرا لكنها صدمت وجلست أرضا يائسة بعد أن أيقنت أن الفرعون لقي حتفه داخل تابوته فقد مات اختناقا.

الصراخ عاد مجددا ولكن هذه المرة يصحبه دمع غزير من عيناها، انحنى جسدها تلقائيا وقبل الفرعون وكأن قوة ما تتحكم فيها وهي لا تستطيع المقاومة! تجمع عدد كبير من حراس الملك وحوطوها، فتقدم ست باتجاهها أمسكها من معصمها وشده بقوة:

• أتريدين إنقاذه!...

تأوهت من شدة الألم فقذفها بداخل العربة وانطلق عائدا حاولت نرجس أن تتملص من قبضته حتى صلى القصر فأدخلها عنوة وألقى بها في حجرتها وهتف

•- لا أملك وقتا للانشغال فيك... هناك ما هو أهم حاليا.

توهجت عيناها وبدأ الكلام يتدفق من فم نرجس وبصوت حاد صاحت:

- أيها الوغد أتظن أنك ستفلت بعملك هذا سأنتقم منك وسيكون انتقامي أقوى وأعظم...

قال بمسيس :-

فلنسلم إلى الأمر الواقع، مات أوزوريس، وأنا هو الملك، الفرعون الجديد

ورفع قدمه وأسندها على السرير مردفا:

ستكونين لي... ككل شيء ورثته عن أخي...

نظرت له وبصقت عليه: بأحلامك"

لم يضيف شيئا على كلامه، تلمس وجهها ورفعه بيديه الخشنتين غمزها بعينه وغادر بعد أن أمر الحراس باحتجازها، ركضت ورائه وهي تصرخ وتركل الباب بقوة حتى هدأت وجلست على الأرض تحاول أن تفكر بعقلانية... أو تحاول تفسير هذا الحلم الذي تعيش أحداثه بوضوح في أرض الفراعنة بل وتشهد بثا مباشرة لأسطورة أوزيريس التي قرأتها مرارا في طفولتها!

وبدأ صدى الصوت الأنثوي بعقلها يشدو وينوح:

فلترحلي أيتها الشمس... فلا مكان لنورك الدافئ

فلتخرجوا يا وحوش الأرض ولتقبلوا يا شياطين الليل.

ولتفيض أيها النيل العظيم فإيزيس بدأت انتقامها "

الكلمات تتردد بتلقائية وكأن روحا شيطانية قد استحوذت عليها، هل تعاني مسا شيطانيا حقا! أو هلوسة بسبب ما عانت منه طيلة سنوات!، تعددت الاحتمالات في رأسها لكن الأكيد أن هنالك من يسكنها ويتحكم فها، وحتى لو كان حلما فستعيش أحداثه حتى النهاية. صاحت بها نرجس وهي تمسك برأسها ألما وكأن جيوشا تنشب حربا طاحنة فيه:

- من أنت؟

فبدأ الصوت بالنواح من جديد:

- أنا إيزيس، عروس النيل

صمتت نرجس لثوان وهي تحدق بالفراغ بعد أن التمست استجابة من تلك الروح فعادت تسألها بفضول وتوجس: ماذا تريدين مني؟.

- من يقطنون قصري، تآمروا ضدي وضد الملك... استعدي للانتقام فها هو ذا النيل قد بدأ بالهيجان وقلبي ثائر غضبان. الخيانة عدونا والانتقام سبيلنا.

فردت نرجس بحنق:

ولكني لا أريد الانتقام من أحد اتركيني وشأني.

صاح الصوت يغني من جديد بطريقة مستفزة:

الأقدار جمعتنا والفاجعة وحدتنا

الانتقام سبيلنا والتوحد طريقنا

أدركت نرجس نفسها تقوم ببطيء من على الأرض وتتجه ناحية المرآة المزخرفة ذاتها وكأن لا وجود لسواها في هذا الحلم الغريب أردفت الروح بعد صمت طال: أنت قدري... وأنا قدرك

انظري لنفسك في المرآة كم تشبهيني، كأنك أنا وكأنني أنت

لم تعد نرجس قادرة على المجادلة أكثر فصمتت تحاول السيطرة على أعصابها، فتح الباب فجأة وحضر حارسان اقتاداها إلى قاعة كبيرة وآخر خيوط الشمس ترسل ما تبقى من أشعتها مودعة المكان من خلال نوافذ عريضة طويلة لا تنير بقدر ما تخفي العتمة من أوثان وعلى الركن الشمالي كان ست يتحدث مع كبير الكهنة وشخص هيئته كساحر، يتزين بعقد كبير مليء بالطلاسم وكأن آلاف الشياطين أعدته!

والتابوت الذي يحمل جثة أوزوريس متواجد في القاعة حوله الشموع مشتعلة وكأنه طقس من طقوس وثنية!! رآها ست فشف ثغره عن ابتسامة عريضة وتقدم نحوها، رافعا ذراعيه

- لأجمل عروس في النيل

واقترب أكثر وهمس:

خطرت لي خاطرة... تمتعي بالعرض حتى نهايته.

وصاح مردفا بصوت جهوري: ابدأ يا كبير الكهنة "

تجمع الرجال حول التابوت، حملوا الجثة وألقوها على طاولة طويلة وكبير الكهنة أمسك بورقة بردي ووقف خلف رأس الجثة والرجال يحملون صوامع تحوي بخورا أسود اللون نفاذ الرائحة ويلتفون حولها مرددين كلمات غريبة وهم يتمايلون يمنى ويسرى، فض الكاهن الورقة وبدأ يرتل كلمات غريبة لم تفقه كلماته نرجس ولكن إيزيس صرخت.

- إلا هذه التعويذة... لاا

ضحك ست بأعلى صوته وهو يحاول السيطرة عليها وهي تصيح وتقاوم بين يديه وقال:

- كانت له الدنيا بكل مفاتنها هل سيحيا بمملكة الموتى بسلام؟ هذا طمع كبير"

انتهى الكاهن من قراءته التعويذة وتقدم الساحر وبدأ بالدوران حول الجثة يتمتم بصوت منخفض تارة ويصرخ تارة أخرى ناثرا رمادا عليها والرجال يرتلون تلك التعويذة ويكررونها من خلفه...

أكمل الساحر سبع دورات كاملة ونفخ على الرأس ووقف عند قدمي الجثة وعندها ضرب القدم اليمنى بخفة بعصا غليظة، صدر صوت طقطقة عالية من العظام تلاها صوت تمزق اللحم فانفصلت القدم عن الجسد وصرخت نرجس وبداخلها إيزيس لهول هذا المنظر المرعب...

تجلت صورة عمر والد نرجس أمامها... وللحظات عات الأحداث تهاجم ذاكرتها بشراسة... تجاهل الساحر صراخها وفعل مثلها للقدم اليسرى، التف إلى الجذع ففصله بلمسة واحدة وكذلك لليدين، كان يدور ويتلمس بعصاه أجزاء الجسد واحدة تلو الأخرى فتنفصل ببساطة وكأن الجثة مجرد لعبة بلاستيكية تتفكك لكن بفارق بسيط أن الدماء تتنافر بقوة وعنف مما يزيد المشهد شناعة وقوة. إيزيس تصيح بانكسار ونرجس تبكي بذعر تستذكر وائل وهو وينحر والدها ويقطع أوصاله... تخيلت لحظات الألم والعذاب الذي عاشها والدها قبيل مقتله من طعنات صديق العمر...، روحان بجسد واحد يعانيان الألم وصوت ثالث يضحك بانتصار

انتهى الساحر من عمله وانهار جسد نرجس على الأرض فلم تعد تحتمل ما تراه، تجاهلها ست وأمر رجاله صائحا:

- لينتقي كل فرد منكم قطعة من هذا الجسد خذوها وتفرقوا بأرجاء مصر"، هالها ما تسمع وكأن الشيطان قد تهيأ على سحنة ست، تلجلج لهيب حارق في صدرها، تلاشت الموجودات تدريجيا بطبقة ضبابية حتى ساد سكون مهيب تلته ظلمة مدلهمة.

شق جنود ست طريقهم ومضوا فيه تفرقوا بأرجاء مصر كل منهم يحمل قطعة من جسد الملك.

صحت نرجس بعد زمن لتجد أنها بالغرفة مستلقية على الفراش وأمام المدخل يقف الشخص ذا الرداء الأسود مشيرا إلى المرآة المعلقة على الحائط.

كانت تشعر بصداع رهيب، اعتدلت بجلستها وما زال الشخص يشير إلى المرآة دون أن يتكلم! سارت تجاه ما يشير إليه وهي تتمتم: اللعنة على هذه المرآة، أي حلم مجنون تورطت فيه أنا!

عندما صارت أمام المرآة مباشرة رفعت نرجس رأسها ودققت النظر أكثر لتستبين الأميرة الفرعونية، الفتاتان تحدقان ببعضهما حتى قطعت نرجس الصمت

- أنت إيزيس

- نعم.

- ها أنت ذا تستطيعين النطق بداخل المرآة لم لم تحادثيني عندما تقابلنا أول مرة؟! وكيف خرجت من جسدي؟.

بلهجة استهزاء أجابتها: أعشق صناعة المؤثرات الدرامية

هتفت بحدة:

- لماذا تقحمينني في انتقام ليس لي علاقة به، ما حاجتك لي.

تنهدت إيزيس وحدثتها: صعب أن تصدقي هذا القول لكن

أنا هي أنت، أنت من تستطيعين رؤيتي فقط فأنا مجرد روح هائمة، وأنت الجسد الأمثل لهذه الروح بدونك لا أستطيع التحرك ولا أحد يراني سواك وحتى أنت لا قدرة لك على رؤيتي بدون

هذه المرآة تحديدا، ابتليت بتعويذة أخذت جسدي وعن طريقك أنت فقط أستطيع إعادته والانتقام لزوجي.

- مهلا... ولكن كيف ذلك...؟

سألتها باستغراب، وشعرت بأن الحلم فعلا قد طال وقته! تنهدت ايزيس مجيبة:

_منذ أيام ولجت المعبد كان ست واقفا يحدث كبير الكهنة مع عدد من رجال الدولة بصوت خفيض جدا والذي استطعت أن أفهمه أنه يدبر مكيدة ما للملك في يوم الاحتفال ولكني لم اعرف ما هي على وجه التحديد جزعت على زوجي وحاولت أن أحذره ألا يثق بشقيقه ولكنه لم يستمع إلي لأنه يحب أخاه حبا جما فقررت أن أفعل شيئا ما لأخلصه من براثن أخيه وخطئي أني دخلت إلى مكتبة المخطوطات المحرمة في السرداب السري وفتحت مخطوطات السحر الأسود ولكن لم أكن لأثق في أحد لمساعدتي فقررت التصرف لوحدي.

استقيت بضع تعاويذ لعلي أوقف ما يخطط له ذلك الشيطان،، جلت ببصري المكان حتى وقعت عيناي على صندوق خشبي مقفل بإحكام، زاد فضولي لمعرفة ما يخفي فكسرت القفل وحاولت مجددا ولكنه لم يفتح حتى وجدت تميمة معلقة بأسفله.

ظللت أحاول فك سحرها حتى جن الليل فأخذت مخطوطاتي ورجعت إلى مخضعي وعقلي معلق بذلك الصندوق. لم انم ليلتها وأنا اقرأ المخطوطات واتفحصها وأحاول إيجاد تعويذة فك سحر التميمة وأقبل الفجر فهرعت إلى الغرفة المحرمة مجددا أبحث فيها حتى رأيت المخطوطة أخيرا، وقفت أمام الصندوق وتلمست التميمة وبدأت اقرأ التعويذة حتى سطع ضوء

شديد من الصندوق وفتح أخيرا، كان بداخله ورقة بردى ملفوفة بإحكام انتشلتها وعدت إلى حجرتي

عند المساء فضضت اللفافة ففاض منها غبار ذو رائحة نفاذة ولكني لم آبه له وبدأت القراءة:

حتب سخت... القاطن... بين المقابر والأموات

أذعن لأمري ولبي رغبتي...

قرأت ذلك دون أن أعرف ماهية تلك الكلمات وما عملها وهنا كان خطأي الثاني

وفجأة ساد ضباب كثيف غرفتي اهتزت الأرضية وانشق الحائط ليبزغ مارد قبيح الهيئة

كلمني بصوت خشن:

حتب سخت... لبى دعواتك فاطلبي.

جزعت من هيئته وصوته... فأجبته بارتباك إني أريد معرفة ما يخطط له الخونة ضد الملك وأريد مساعدته، أخبرني أن لكل طلب مقابل، فرددت دون تفكير أني مستعدة لأي ثمن فحياة زوجي أهم من أي شيئا آخر.

وعبر المرآة التي ترينني من خلالها الآن رأيت الاحتفال... وكل ما جرى فيه.

ثم أخبرني بالمقابل الذي يريده،

وخلع عني فستاني ليكوي كتفي بختم الجعران كتوثيق للعهد ولن أصف شعوري لك بتلك اللحظة وكأن عذاب الدنيا كله قد تعاظم بي، كنت أصرخ من شدة الألم والخوف وكان يقول:

- اصرخي وثوري لن يستمع لصراخك أحد. يا من بعثت حتب سخت من مرقده ها قد جاءك فخذي ما طلبت وردي لي مطلبي "

سلمني تميمة فدارت الدنيا من حولي لأشعر بنفسي أرتفع في السماء، شعرت أني خفيفة جدا لدرجة لا توصف ونظرت لأسفل لأفاجأ بجسدي ملقى على الأرض شهقت بفزع وبدأت أحاول الهبوط لأسترد جسدي لكني لم أستطع، وفجأة عاد الدوار من جديد وبدأت الجدران بالانطباق شيئا فشيئا وقوة هائلة سحبتني لمرآتي المعلقة على الحائط لأعلق بها ووقف ذلك المارد أمامي وبدأت بضع كلمات ترتسم بالدم على الأرض وكان لزاما على أن أقرأها

سأستقدم جسد آخر شخص من سلالتك اسكنيه... وانقذي الفرعون"

فصرخت فيه بجزع "وجسدي؟؟

فأجابني: ستستردينه لكن بعد أن تنفذي انتقامك كاملا "

انتفضت نرجس وقاطعتها قائلة:

لكن أنت... أنت وزوجك، قصتكما مجرد أسطورة!

تطلعت فيها إيزيس بتعجب: جميع الأحداث الغريبة التي مررت بها وما يشغل تفكيرك الآن أني مجرد أسطورة؟! كيف يفكر البشر في زمانكم!

ولم تعطها مجالا لتجيب بل أردفت بسرعة:

وبلحظة اختفى حتب سخت وسقطت أنت من خلال فجوة زمنية ورأيتك وأيقنت أنك المختارة والتحم روحي بجسدك لنشكل كيانا واحدا وهأنذا معك الآن وأصبحت تعرفين قصتي وستساعديني في أخذ انتقامي... ساعديني، وعندها سأساعدك فيما ترغبين فيه، سأنتقم لك من كل شخص آذاك.

بقيت نرجس صامتة بذهول حتى أردفت إيزيس:

- معاناتنا واحدة... الخيانة هي من تجبرنا على الانتقام فها هو ذا ست قد قتل زوجي حسدا وغيرة من سلطته ومركزه العظيم ليستولي على عرش مصر وقد نال مبتغاه. قتله ليمحو أثر الحب من القلوب وليثبت أن الشر أعظم وأقوى ولكنه لن يطفئ الحب الذي في قلبي لن يقتل البرعم الصغير في أحشائي،

تلمست بطنها ودمعت عيناها قائلة:

الحب أقوى من أن يموت وسيعود أوزيريس ولكن هذه المرة كطفل صغير.

- أنت حامل!!

- لا ابتلعت طفلا بالخطأ، هل تأتيك حالة الغباء كثيرا!

تبسمت نرجس وهي تجفف دموعها وصمتت بعدها،

لحظات مرت وكل منهما شاردة في عالمها حتى قررت إيزيس أن الوقت قد حان للهروب من القصر

الآن أغمضي عيناك-

قالتها إيزيس بلهجة آمرة فانصاعت لها نرجس باستسلام فلا مجال للاعتراض، استحوذت على جسدها من جديد وتحركت بها، تسلقت النافذة ثم قفزت بكل خفة نحو الشجرة وهبطت بهدوء على الأرض، شهقت نرجس خوفا ولكنها هبطت بطريقة سلسة دون أن تصاب بأذى، ابتسمت لما قد اكتسبت من شجاعة...

ركضت قرب النيل تعتصر بطنها ودموعها تتساقط بغزارة، هي تبكي والنيل يفيض غضبا والسماء ترعد وتبرق من فوقها وكأن الطبيعة قد ثارت لغضب إيزيس. انكبت على الأرض تعتصر التراب بقبضتها... وبدأت تترنم وهي تحدق بمشاعل المدينة البعيدة...

الذين بنو البيوت يوما

تهدمت جدرانها

وأماكنهم لم تعد موجودة

وكأنها لم تكن.

لا أحد ممن ذهبوا يعود.

ولكنك بانتقامي ستعود...

أخرجت التميمة التي أعطاها إياها حتب سخت، اعتصرتها وبدأت بقراءة التعويذة والريح تشتد والنيل هائج تتخابطه الرياح والحيوانات تفزع وتركض بكل اتجاه، تطاير شعرها الأسود بشكل

جنوني وبرقت عيناها بلون جهنمي وساد الظلام المكان، حتى القمر لم يعد لنوره أثر فتوهجت التميمة...

كانت التميمة هي أملها الوحيد في البحث عن الأشلاء وقواها ستطلعها على الطريق مهما كان طويلا، كفكفت دمعها ووقفت استعدادا وبدأت رحلة البحث.

* * * * * * * *

(3)

الغدوة اغتالت غيهب الليل والكل منشغلون بتجهيزات الزفاف، الزينة ملأت القاعات والقرابين قدمت للآلهة لتبارك البداية الجديدة، والموائد افترشت والكؤوس امتلأت خمرا... وخارجا بدأ السكان يهللون ويرقصون لحفل فرعونهم الجديد، جو من البهجة عبق بالأرجاء وكأنهم نسوا أو تناسوا مجبرين فرعونهم المغدور!

فتح الباب وولجت الجارية لتجهيز العروس ولكن ما من عروس! فولولت مهرولة:

- هربت العروس... هربت إيزيس

خرجت الجارية من الحجرة باتجاه مخضع الفرعون الذي ما إن سمع هذا النبأ حتى جن جنونه واستشاط غضبا فكيف لها أن تفكر بالفرار منه وسرعان ما انتشر الخبر بأرجاء القصر فأمر حراسه بالبحث عنها وقد تغيرت خططه تماما هذه المرة وتوعدها بعذاب شنيع فما من أحد يستطيع الخروج عن طاعته ويبقى حيا

أدركت إيزيس أن الفرعون إن عثر عليها فهي ميتة لا محالة، حملت ما استطاعت من عتاد وغذاء وشراب مقابل سوارها الذهبي الذي أبدلته بالسوق من أحد الباعة وأسرعت الخطى بالعربة الخشبية بعيدا عن المدينة، أرهقتها شدة القيظ والرمال تلتهب تحت أشعة الشمس اللاهبة، جسد نرجس الهزيل لم يعد يقوى على تحمل مشاق الطريق بالإضافة للألم الذي تسببه لها إيزيس بغضبها الفج...، كانت تسير وتنظر إلى تميمتها من وقت لآخر علها تكون قد اقتربت من موقع القطعة الأولى فتضيء التميمة وتنهي هذه المسألة، أيام مرت دون أن تيأس ودون أن ييأس الفرعون في البحث عنها بأرجاء مصر وتوعد من يعثر عليها بمقدار من الذهب حتى أقبل ذلك اليوم الذي توهجت فيه تميمتها باللون الأحمر القاتم الذي اشتاقت لرؤيته ودفعت ثمنه عذاب أيام وليال من البحث المضني وأخيرا وجدت الصندوق الأول...

تتابعت الأيام وإيزيس تجول أقاليم مصر بإصرار لتجمع الأشلاء المتبقية من زوجها وتكدست الصناديق بعربتها حتى اكتمل بحثها على أربعة عشر صندوقا تتفاوت في الأحجام والمقاسات.

وصلت أخيرا لوادي الملوك، انحرفت باتجاه الغرب بين مدافن أجدادها الفراعنة حتى استهدت على مدخل كهف مختبئ بين صخور الجبل، عبرته وأيقنت أن هذا المدفن الأمثل لإكمال مهمتها... فهو متوار عن الأنظار، خطت إلى الداخل وبددت الظلمة بمشاعل خشبية وزعتها بأرجاء الكهف

أخرجت الأشلاء من الصناديق فعبق الكهف برائحة نتنة بسبب تحلل بعض الأجزاء. وبدأت بترتيبهم وقلبها يمتلئ بكمية حقد لو وزعت على سكان مصر كلهم لما وسعتها صدورهم. أنهت تجميع الجثة أخيرا فسقطت دمعتان على جبين أوزيريس والتمعت عيناها فبرقت التميمة وتوهج

الكهف بضوء قوي... تراجعت إلى الوراء بفزع عندما التحمت أجزاء زوجها وعادت جثته سليمة كما السابق انتفض الجسد فجأة وكأنما روح الشاب قد خرجت لينعم بالسلام... بضع دقائق مرت كانت كفيلة بإسعاد ذلك القلب الحزين، ودعت زوجها الحبيب ووعدته بأنها ستنتقم لروحه وستستعيد عرش مصر...

بدأت إيزيس عن طريق نرجس بتحنيط جسد الفرعون بحرفية ليصبح أخيرا مومياء ملكية أرقدته بتابوت نقشته إيزيس ورسمت تفاصيله بدقة لا متناهية...

أقفلت التابوت وشرعت تكتب قصتهما على جدران الكهف دون كلل أو ملل لتتناقل الأجيال تلك القصة المكللة بالغدر والخيانة...

عسعس الليل وأقبل الفجر الندي بخيلائه المعهودة لكشف المستور... ومن بعيد صدرت أصوات الخيول والحرس يفتشون أركان الجبل والمعابد... أغمضت عينيها بسكون تام وهمهمت وهي تعتصر التميمة بين كفيها... حان وقت الرحيل

(4)

شهقة انطلقت من حنجرة نرجس التي كانت ما تزال بداخل التابوت الحجري... اعتدلت بمجلسها وشرعت تسعل بقوة... وهي تتلفت حولها وقد أيقنت أنها بداخل المقبرة في هرم زوسر المدرج

نهضت عن التابوت وتهللت أساريرها عندما أيقنت أنها عادت لزمانها وبدأت تضحك بهستيريا وكأن الذي مر معها مجرد حلم عاشته، أم هو كذلك فعلا!

خرجت عبر الرواق من المدرج. كانت السماء صافية ونسيم الصيف يداعب وجنتها السمراء ويتلاعب بخصلاتها الطويلة مشت ببطئ وسرحت بفكرها بعيدا جدا... أيعقل أنه حلم... كل ما عشته ومررت فيه مجرد حلم!!؟ تنهدت واستقلت الحافلة لتعود إلى بلدتها... ولو كان حلما فهو يحمل بين طياته ألم الواقع... وألم الخيانة الذي لم يندمل بعد...

وصلت ليلا إلى شقتها، أشعلت أنوار الصالة وأخرجت الطعام الذي ابتاعته ورصته على الطاولة وتوجهت ناحية المطبخ لتعد إبريقا من الشاي.

وشردت مجددا فيه كان الماء يغلي على الموقد ومعه كان يغلي فؤادها، تتصاعد الأبخرة من الإبريق لتشكل وجه سمر... جلاده الميتم.، تلمست بطنها وفركته قليلا عندما تذكرت الحرق والتشوه الذي تسببت فيه سمر بجسدها الصغير منذ بضع سنوات خلت، حملت الإبريق وصبت كأسا وبدأت بتناول الطعام، بضع لقيمات فقط واكتفت فهذا الحال الذي اعتادت عليه في الميتم ويبدو أنه سيفيدها في الأيام القادمة لحين انتقالها وعثورها على عمل... فالأموال التي تبقت لديها لا تكفي.

بعد أيام كانت تتجول لشراء بضع حاجيات وصادفتها من بعيد، العجوز ذات الشعر المجعد كانت تدخل شقتها. إنها سمر شيطانة الميتم، حاولت تجاهلها ولكنها لم تستطع كبح دموعها التي انهمرت رغما عنها، رؤيتها أيقظت ذكرى مريرة وألما ما زال ساخنا وجرحا لم يندمل، هرولت إلى شقتها لاهثة ترتجف، أغلقت قفل الباب وجلست خلفه تبكي لكم تكرهها، لكم تكره هذا البيت وهذه الحياة. كيف لإنسان أن يكون بهذه القسوة والوحشية في تعامله مع الأطفال؟ عادت جميع ذكرياتها البغيضة للظهور وعادت الكلمات يتردد صداها بعقلها (يا ابنة المجرمة

...) أي كلمة تعقبها بابنة المجرمة... أي لفظ يخرج من بين شفتيها المجعدتين يحمل كرها وحقدا لنرجس بل ولجميع أطفال الميتم، هل لأنها عاقر تعاقب من لا ذنب لهم؟

ضغطت بكفيها على أذنيها بقوة وصرخت بأعلى صوت - كفى "

جن الليل وهي جالسة على الأرض وملتفة على نفسها تضم ركبتيها على صدرها، تحركت قليلا فأصدرت عظامها صوت فرقعة خفيفة والآن فقط لشعرت بالألم بعد هذه المدة الطويلة التي ظلت فيها جالسة دون حراك.

صعدت درجات السلم المؤدية إلى غرفتها، أخرجت ورقة وقلما وبدأت ترسم كان القلم يسير وكأنه يعرف طريقه جيدا فينساب على الورقة بخفة وبراعة وحقد... لكن الدماء لا بد وأن تكون كتوقيع على رسوماتها... حركت كفها واعتصرته ليسيل الدم كقطرات على اللوحة... ولامست بإصبعها خطوط الرسم ليكمل الدم مهمة الرسم...

أنهت لوحتها الجديدة والتي كانت وجها مشوها داميا قبيح الهيئة وألصقتها إلى جانب صديقاتها على الحائط وهي تتمتم بخفوت وكأنها تحادثها:

عشر سنوات قضيتها معذبة بسببك والآن ترقدين بارتياح وأنا من يحترق، عشيقك وائل الله وحده يعلم أين هو لكني سأجده... حتى ولو كان ميتا... سأنبش القبور بحثا عن جثته فليس لدي ما أخسره"

وسط كلماتها الحاقدة بدأ ضوء المصباح يتأرجح بقوة وشرارة نار اشتعلت فيه حتى انطفأ وساد الظلام المكان، تلفتت بذعر لتسمع صوت ضحكة ماجنة تعبق بأرجاء غرفتها وصوت صاح

- نرجس...

، صرخت نرجس بأعلى صوت: لم يكن حلما! أنت إيزيس هذا صوتك... لم أكن أحلم!؟.

عبقت الروح حولها واقتربت أكثر من وجهها فسرت قشعريرة بجسد نرجس دون أن تراها...

• رقدت بتابوت الخلاص فحررت التعويذة ووثقت العهد...

عادت الأنوار كما السابق فتراءت لنرجس المرآة ذاتها التي كانت تحادث من خلالها إيزيس بأرض الفراعنة... تقدمت ببطئ ناحيتها حتى أبصرت إيزيس التي عادت للحديث من جديد:

- موعدنا الليلة فلتتجهزي لما هو قادم "

جمدت نرجس بمكانها محدقة بنفسها في المرآة بعد أن اختفت إيزيس. غير مصدقة أن ما يجري معها حقيقي، واقع وملموس، نقرت بإصبعها على المرآة قليلا تناديها ولكن ما من مجيب. أبدلت ملابسها وارتمت على السرير لتنام وكلمات الروح ما زالت تتردد على ذهنها موعدنا الليلة...

الساعة الثالثة فجرا، الريح تعوي خارجا كذئب جريح فتتراقص الستائر على أنغام الموت في هذا الظلام البارد الموحش، صوت امرأة حاد اللهجة صاح قائلا حان الوقت

فتحت عيناها ونزلت من السرير أخذت محقنا من درج الخزانة وخرجت من المنزل تمشي بخطى بطيئة بين الأشجار وقفزت من على السور لتصل إلى المنزل في الشارع المجاور،

كانت سمر مديرة الميتم الذي عاشت فيه سنوات من طفولتها ترقد في سريرها وتغط في نوم عميق، وقفت أمامها تتأمل هذا الوجه الشيطاني القبيح ذو الأنف الأعوج والجسد الذي أذاقها

شتى أنواع العذاب والحرمان تلمست بطنها المحروق وتذكرت كيف قامت هذه المتوحشة برميها بإبريق الشاي المغلي لمجرد أنها تأخرت في الاستيقاظ، سقطت دمعة منها ورفعت المحقن وهوت بكل قوتها تضغطه على ساعدها المترهل، تأوهت سمر وفتحت عيناها من هول الصدمة قبل أن تشهق وتنام من جديد، خدرتها وسحبتها إلى المطبخ وربطت أطرافها على الطاولة الخشبية بإحكام ثم أعدت قدحا من الشاي وجلست تشربه بتلذذ حتى استيقظت سمر

فتحت عيناها ونظرت حولها مذعورة وحاولت التحرك ولكنها كانت مقيدة وكان الظلام شديدا إلا من ضوء القمر الذي كان يتسلل خلسة من النافذة المفتوحة ليسقط نوره على تلك الفتاة الجالسة بهدوء لحظات صمت مخيفة مرت وكأنها دهرا وألم لا يطاق يصاحبه لزوجة الدماء التي تسيل من مواضع متفرقة من جسدها وتسقط أرضا مصدرة ذلك الصوت الرتيب تووووء ... تووووء ... تووووء

حتى تبينت نرجس تقترب منها:- تبدين كالملائكة وأنت نائمة...

- ن نرجس أنت نرجس؟... ماذا تفعلين!؟ هيا هيا فكي وثاقي ولا تعبثي معي بهذه الطريقة

فأجابتها بسخرية: ومن قال أني أمزح!

بدأت ترتجف بشدة وهي موقنة أن نرجس لا تمزح، أدركت أن وقت الحساب قد حان ولا مفر، تيقنت أن عذاب سنوات لتلك الفتاة سيظهر هذه الليلة. اقتربت نرجس هامسة: لن يطول الأمر

وأردفت بخبث: ستتذوقين الشاي كما تذوقته"

كان الإبريق يصدر صفيرا حادا ومزعجا وهو على الموقد... يتصاعد البخار ويتشكل كنقاط دامعة على السقف... التفت سمر بهلع وصارت تتوسلها وهي تهز رأسها نافية لما توشك أن تفعله نرجس... التي سارت بتؤدة ناحية الإبريق حملته وعادت فيه إلى سمر...

- يقولون أن آثار حرق الشاي المغلي مع السكر أشد وأقوى أليس كذلك أم أنا مخطئة!!

تعالت ضحكاتها وهي تصب الشاي سيرا على طول جسد سمر التي أطلقت صرخات هزت أركان المنزل

* * * * *

كانت الشمس حارقة كعادتها في هذا الوقت من العام وأصوات الباعة تختلط بأصوات الأطفال الذين يلعبون في هذا الشارع الجانبي من أحد أحياء الجيزة صرخ مأمون بأصدقائه:

-هذه المرة فريقي الرابح " وقذف بالكرة بكل قوته حتى طارت من بين الأشجار وتوضعت بحديقة المنزل المجاور تعالت ضحكات الأطفال عليه وبدأت الشتائم الصبيانية البذيئة تصدع حول رأسه ...

صرخ أحدهم به: يا غبي ها قد حطت الكرة بعيدا هيا اذهب وهاتها.

تسلق مأمون السور الحديدي للحديقة وهبط باحثا عن الكرة حتى وجدها فركض باتجاهها، حملها بيديه وهم بالمغادرة لولا استوقفته النافذة المفتوحة وذلك الشيء الغريب المتدلي من داخل المنزل تقدم إلى الأمام ودقق النظر جيدا حتى اتسعت عيناه رعبا وجمد في مكانه، عاد الأطفال يتصارعون من جديد خارج حتى قفز بعضهم ليروا ما حل بصديقهم الذي كان جافلا

أمام النافذة ونظروا إلى ما كان ينظر إليه ولكن هذه المرة كان الصراخ مختلطا بالخوف والفزع.

لم تمض ساعة إلا وكان رجال المباحث والأمن الجنائي منتشرين في الحي ويطوقون المنزل والأهالي مجتمعين ليشهدوا هذه الجريمة البشعة في حيهم.

فلك أن تتخيل التالي، امرأة معلقة من يديها بحبال مثبتة على الحائط

العينان جاحظتان بطريقة مخيفة وغريبة والاذن اليمنى بدورها علق عليها مفتاح نحاسي مزخرف بشكل لافت... والفم مفتوح يتدلى وكأنه قد خلع من مكانه، وحروق تلتهم جسدها والشيء الأكثر غموضا بهذه القضية هو مفتاح الحياة الذي يرمز للحياة الأبدية عند الفراعنة محفورا بطريقة الحرق على جبهة الضحية بشكل متقن وواضح وكأنه ختم لأضحية قبل ذبحها!!. البطن مبقور متهتك الأطراف بطريقة مروعة وكأن حيوانا مفترسا كان يتناول إفطاره الشهي هنا!

اختفت الأمعاء ليتموضع مكانها صندوق خشبي صغير

وأسفل الجثة وعاء كبير يبدو أنه كان مليئا بالدماء ولكنه فارغ! وغير ذلك لا يوجد في المنزل ما يدل على مقاومة أو عراك فكل شيء يبدو مرتبا وبمكانه إلا ابريق شاي وكأس فارغ يبدو أن الضحية كانت تشرب الشاي قبل مقتلها!

كل شيء كان يدل وحشية غير مسبوقة ولا يمكن أن تكون من عمل إنسان طبيعي وخاصة عندما فتح المحقق ذلك الصندوق الخشبي ليجد قطعة من ورق البردى ملفوفة ومختومة بشمع أحمر وعندما فضها قرأ عليها التالي:

لا أحد يستطيع أن يطيل

حياته على الأرض

ولا أحد إلا عليه الذهاب

إلى العالم الآخر.

زمن وجودنا الأرضي

ليس بأطول من حلم.

فاجعل بيتك في مدينة الأموات رائعا واهرع إليه "

ويوما بعد يوم والتحقيق جار في القضية كانت الأقاويل تكثر واللغز يزداد غموضا حول مقتل السيدة سمر وبعض النسوة العجائز في الحي نسبن ذلك لعمل للجن وأخريات لاستحضار الأرواح حتى أن بعض الجارات أكدن صدور أصوات غريبة تخرج من منزلها ليلا وقد اخطأت باستحضار روح ما فمسختها وهكذا

دار المحقق ورجال الأمن الجنائي بحلقة فارغة ولم يستطيعوا حل هذه القضية فبساطة أهل الحي ودماثتهم بالإضافة لطريقة القتل المروعة كلها كانت عقبات حالت دون معرفة الجاني وسجلت القضية ضد مجهول

* * * * * * *

كان قلب نرجس يخفق برعب وهي تشاهد رجال الأمن والمباحث يطوقون المنطقة لحل هذا اللغز وعيناها تدمعان خوفًا وحزنًا وقرفاً من هذه الوحشية التي أرغمت على ممارستها

مرت بضعة أيام وهي تفكر بطريقة للهرب وخاصة من إيزيس التي كشفت لها عن وجهٍ أخر أكثر دموية ورعباً مما كانت تظن .فهي لم تفارقها أبداً منذ صباح الحادثة والغريب أن رجال الأمن والمباحث أو حتى الجيران لم يقتربوا من نرجس ولم يطرقوا بابها

لم يبقى ساكن في هذا الحي إلا واستجوبوه أو منزل إلا وفتشوه ولكنهم لم يقتربوا منها وكأنها غير موجودة أو مخفية وإيزيس تبتسم وتقول .لن يستجوبك أو يشك بكِ أحد "

حتى جاء يوم وطرق باب الشقة بقوة هرعت لتفتح فإذا هي جارتها الطيبة أم علي وبعد ساعة من ثرثرتها عن ميتة سمر وجثتها المشوهة وأنها تستحق هذه الميتة بالرغم من غرابتها دخلت بالموضوع الأساسي الذي جاءت لأجله فقالت لها بحنو :

لم توفقي بعملٍ بعد أليس كذلك؟؟

-لا للأسف

-إذاً اسمعي قريبي يعمل بواباً لأحد الأثرياء في القاهرة وصاحب العمل يحتاج إلى فتاةٍ أمينة لتعمل عنده وبراتب معقول ما رأيك إن أعطيتك العنوان وتوجهتِ إلى هناك

-أتقصدين خادمة ؟!

-نعم .

تبسمت نرجس بحزنٍ وبلهجةٍ مريرةٍ أجابت وكأنها تحدث نفسهاً : وما بها الخادمة؟ لفتاةٍ لا شهادة تحملها ولا عائلة !حسناً هاتي العنوان وشكراً لكِ.

أقبلَ صباح اليوم التالي تجهزت وانطلقت بعد أن أقفلت باب منزلها...وباب ذكرياتِها إلى الأبد

وانطلقت إلى محطة الجيزة مستقلة القطار المتوجه إلى القاهرة،وصل القطار محطة مصر المزدحمة بالمسافرين، وكأن كل منهم يحمل همومه ليلقيها بعيداً، منهم الهارب من ماضٍ أسود كحالها ومنهم من يحلم بمستقبلٍ جميل مشرق وبدايةٍ جديدة، يحملون حقائبهم الكبيرة كهمومهم فارين نحو الغموض .

تناست ما يدور حولها وأخرجت العنوان وأوقفت سيارة أجرى لتقلها إلى المنزل الذي ستعمل فيه، وصلت إلى شارع من شوارع القاهرة منازله مصنوعة من الحجر ذات الطراز العتيق تطوقها الأشجار العالية وتوقفت السيارة أمام إحدى المنازل كان كبيرًا ذا تصميمٍ جميل، بوابته حديدية مزخرفة، شدها جماله وترجلت من السيارة ووقفت أمام البوابة الضخمة حتى حضر البواب العجوز ..

اهلا يا ابنتي كيف أساعدك ؟

-عم صلوحي أليس كذلك ؟

-نعم .

-أنا نرجس أرسلتني قريبتك أم علي لأعمل هنا .

- أهلاً أهلاً تفضلي بالدخول .

حمل حقيبتها واقتادها إلى الصالة وطلب منها الجلوس ريثما يعود صاحب الشقة من عمله، تأملت الصالة الكبيرة من حولها كل شيءٍ كان جميلاً ومتناغماً ابتداءً من اللوحات المعلقة على الجدار إلى الأثاث القديم والتماثيل المنحوتة ببراعة ودقة والموزعة بأرجاء الصالة ناهيك عن الجرامافون الكبير الذي لطالما تمنت أن تستمع إليه، أحقاً إنه منزل رجل أعزب! تساءلت وهي تتلفت حولها بانبهار وابتسمت لأنها ولأول مرة تشعر براحة نفسية وهدوء وتمنت لو أنها توفق بهذا العمل ..

سمعت صوت البواب العجوز من جديد يتكلم ودخل هو وشاب آخر على قدر من الجمال والهيبة على ما يبدو أنه صاحب الشقة نهضت مبتسمةً وقلبها يخفق بشدة والتفت إليه فإذا بها تلتقي وجها بوجه بضابط !

ولج محمود ليرى تلك الشابة السمراء واقفة تنظر له بكل براءة بعينيها الوسعتين بذهول .

-مرحباً بكِ أنسة نرجس عم صلوحي أخبرني أنك هنا للعمل تفضلي بالجلوس.

خفق قلبها باضطرابٍ وتمتمت لنفسها فعلاً خير مخبأ للقتلة هو مخفر الشرطة ! استدركت نفسها و شكرته وجلست وطال الحديث بينهما، وعرف منها أنها يتيمة الأبوين وإن كان يجول

بخاطره الآن أنها فتاة مسكينة صغيرة جداً على عمله و.... وجميلة كذلك فقلما يلتمس براءة كحالها بين نساء هذا الزمان !!

كان محمود شاباً طويلاً متناسق الجسد بهي الطلعة وسيم الملامح،راقب نرجس وتفحص ملامحها باهتمامٍ شديد ودقةٍ فائقة وهي ماتزال تحدقُ بالأرضية :

-أأعجبتك السجادة يا نرجس ؟!

قالها راسماً ابتسامة مطمئنة لنرجس التي ازداد احمرار وجنتيها وأجابته ببلاهة : هاا جميلة"

تعالت ضحكته أكثر ونهض قائلاً :

بإمكانك بدء العمل والآن سيصحبك صلوحي إلى غرفتك، عمتِ مساءًا "

أنهى حديثه وغادر الصالة أما نرجس فدخلت غرفتها الجديدة التي تقبع خارج الفيلا، يبدو أنها غرفة الحارس أو للخدم لكنها حميلة ومرتبة فأرضيتها تكسوها سجادة حمراء مزخرفة بالإضافة لخزانة متوسطة الحجم وسريرٍ ، كل ما حولها نظيف ومرتب بشكل مبهر بل لكن ما أثار ذهولها هو تواجد مرآة ايزيس في الغرفة، هرعت ناحيتها تنادي ايزيس لكن ما من مجيب ، استلقت على السرير أغمضت عيناها وتنفست بعمق وهي تدعي الله سبحانه أن يوفقها بهذا العمل !!نادت مرةً أخرى بصوتٍ عالٍ على ايزيس ولكن لا فائدة .ابتسمت وتمنت أن تتخلص منها إلى الأبد واستسلمت للنوم بعد هذه الرحلة الطويلة ...

****

(5)

مرت عدة أيام وهي تقوم بعملها بلا كللٍ أو ملل وتكاد لا ترى صاحب البيت بسبب انشغاله الدائم وكأنها فعلاً قد رسمت مستقبلاً جميلاً حتى ولو كانت خادمة فالعمل الشريف والحصول على قوت يومها يكفيها لتعيش مطمئنة البال.,,,وفي تلك الأيام تناست وائل، شعرت باستقرارٍ نسبيٍ أنساها

مساءاً كان محمود جالساً بمكتب منزله ينظر إلى الأوراق المكدسة أمامه أراح ظهره على الكرسي فهو متعبٌ بحق هذه الليلة .. عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشر ليلاً موعدٌ مثالي للنوم وخاصة أن النعاس بدأ يداعب جفنيه ، هذا ما كان يفكر فيه قبل أن يرن هاتفه المحمول استجاب للمكالمة وأطلق سبةً لينهض بعدها من فوره ويخرج من المنزل بحنق .

ألا يقتل هؤلاء الأوغاد إلا ليلاً تمنيت لو أن أحدهم يكسر تلك القاعدة ويرتكب جريمته نهاراً !-

تمتم بكلمات حانقة وأسرع بسيارته ليصل إلى موقع الحادث وليرى مالم يكن يتوقعه حتى بأبشع كوابيسه ...

الظلام حالكٌ من حوله إلا من ضوء النيون الخافت الذي يعطي إضاءة خفيفة ، وقف و فتح فمه ببلاهة كمن يرى جثة لأول مرةٍ في حياته، حاول استيعاب الموضوع بطريقةٍ عقلانيةٍ ولكن لامكان للعقل هنا .

كان المصور منهمكٌ بعمله ويحاول إيجاد نقطة يبدأ منها التصوير لتتوضح معالم الجثة معه أو على الأقل طريقة قتلها.نظر للموجودين من حوله بصمتٍ يحاول التأكد من الذي تراه عيناه منتظرًا شرحاً ما أو تفسيراً

فالذي يراه الآن عبارة عن جثة لشيءٍ كان اسمه رجل قبل أن يخرجه أحدهم من سيارته التي تلوث مقعدها بالدماء ويجره على الأرض بوحشيةٍ تاركًا أثر دماء تصل لعمود الإنارة ويعلقه عليه في هذه الطريق الجانبية من أحد أحياء القاهرة .

كان الوجه خريطة من الوشوم الشيطانية التي نقشت بالحفر يتوسطها بأعلى الجبهة مفتاح الحياة وكأن احدهم قام بدمغ جبهته، عينان جاحظتان أما يده اليمنى فمسلوخةٌ بدقة فائقة لتظهر العظام من خلالها ، قدماه مشقوقتان طوليلاً بأداة حادة ليتموضع بداخل الشقوق مجموعة أوراق ملفوفة صغيرة .

مسح محمود حبيبات عرق امتلئ بها جبينه و

أخرج هذه الأوراق بعناية وبدأ بتجميعها ووضعها بكيس بلاستيكي صغير ..

الأكثر غرابة أن الجثة كانت خاليةً من الدماء وكأن القاتل بقي الليل بطوله يتسلى بسحب دم هذا المسكين أو يمتصه كالعصير ..

يعود فجراً إلى منزله منهك القوة و يرتمي على السرير حاول أن ينام ولكن النوم أبى أن يزوره وبقي مستلقيًا يتأمل السقف شاردًا بمدى شناعة ما رآه .

وبعيداً عن محمود وما خاضه الليلة استيقظت نرجس تتصبب عرقاً وتلفتت حولها بذعر ، كان الظلام دامسًا قامت وأشعلت الأنوار وقد سرت قشعريرة بجسدها.

ماهذا الكابوس المقرف من ذلك الرجل الذي حلمت أني اقتله هكذا؟ ألن أنتهي من هذا يبدو أن إيزيس تتلاعب بي أنا واثقة من هذا .

كان جالساً في مكتبه يحاول حل هذه القضية التي لم يذق طعم النوم بسببها عدة ليالٍ خاصةً بعد انعدام وجود أي دليلٍ أو حتى بصمة تشير إلى الجاني

فجأةً نهض وقد تذكر شيئاً ما...

هرع ناحية الخزانة وأخرج صندوقاً منها وبدأ بالعبث بين ملفات نسخ أوراق القضايا القديمة التي سجلت ضد مجهول حتى عثر على مبتغاه

فتح الملف قرأه وأخرج الصور وبدأ بالمقارنة بين القضيتين وصار يتمتم لنفسه :

إنه نفس القاتل أنا متأكد، نفس الطريقة في القتل .

الجثة الخالية من الدماء ، العينان الجاحظتان بشكل مخيف وكأن المجني عليه رأى عفريتاً قبل موته وأخيرا مفتاح الحياة المحفور على الجبهة والأوراق.

نهض يبحث عن الأوراق التي عثر عليها في قدم الضحية ولكنها ليست موجودة هنا أيعقل أنه غفل عنها طيلة ثلاث أيام كاملة ! ونسيها في المنزل؟ نهض من فوره حاملاً صندوقاً كرتونياً صغيرًا وضع فيه الملفات وخرج مسرعاً من مديرية الأمن وقاد بأسرع مايمكنه وفكره معلق بهذه القضية الغامضة.

توجه إلى غرفته أغلق الباب و ألقى الصندوق على السرير وبدأ بالبحث عن تلك الأوراق حتى وجد الكيس بجيب معطفه الأسود أفرغه من اللفافات الصغيرة وجلس على السرير يتفحصها باهتمامٍ بالغ

-إنها ليست أوراق عادية

ازدادت حيرته وهو يفك اللفافات من خيطٍ رفيع كانت مربوطة به و بدأ بقراءتها واحدة تلو الأخرى :

((من رحم الشر أتيت))

فتح اللفافة الثانية ليقرأ فيهاَ

((لأعماق الجحيم ستعود..)

وفي الثالثة قرأ:

((لعنتك أنك من سلالة الشيطان))

وفي الأخيرة

((الشيطان سيبقى وحيداً وسيتمنى الموت عندما يراهم يتساقطون كأوراق الخريف أمامه))

ماهذا التخريف ؟؟

أعاد قراءة الأوراق مرة واثنتين وثلاث ولكنه لم يفهم شيئاً ، كان الخط مزخرفٌ بطريقةٍ ملفتة وكأن الكلمات نقشت بيد خطاطٍ ماهر ومرسومة بالحبر الأسود حك شعر رأسه مفكراً وعاد لتأمل الصور من جديد

كان متأكداً أن الجريمتين للقاتل نفسه، أخرج صور قضية سمر وعاد لتأملها عله يمسك طرف خيط لحل هذه القضية حتى أثار انتباهه صورة للورقة التي كانت بداخل الصندوق المتواجد ببطن سمر أخرج الورقة المكبرة للصورة وعاد لقراءة الكلمات المدونة على ورقة جانبية

لا أحدَ يستطيعُ أن يُطيلَ

حياتَه على الأرض

ولا أحدَ إلاّ عليه الذّهابُ

إلى العالمِ الآخرِ

زمنُ وجودِنا الأرضيّ

ليسَ بأطولِ من حُلُمٍ .

فاجعلْ بيتَكَ في مدينةِ الأمواتِ رائعا...)))

ازدادت حيرته مع هذه الكلمات و القى بعقب سيجاره الرابع على الطاولة بجانبه ولكنه أيقن الآن أنه نفس القاتل

أفاق من شروده على وقعِ طرقاتٍ خفيفةٍ على بابه تعالى صوته يسمح لها بالدخول ففتحت نرجس الباب وقالت له:

-سيدي هناك مكالمة لك

ترك كل ملفاته مبعثرة وخرج من غرفته متوجهاً إلى الصالة يحادث صديقه فدخلت نرجس الغرفة لتقوم بلملمة أعقاب السجائر المبعثرة ، نظفت الطاولة والتفت إلى الخلف فاصطدمت بصندوق كرتوني كان على حافة السرير فسقط أرضًا انحنت لالتقاطه فلمحت الصور مبعثرة على السرير مع عدة ملفات!

أمسكت الصور فخفق قلبها بشدة عندما رأت أنها لجثة تعرفها جيدًا بل وقتلتها بيديها

هل أعادوا فتح القضية مجددا؟؟ تساءلت بقلق قبل أن تلمح ملفاً آخر فتحته بدافع الفضول وأخرجت مجموعة صورٍ أخرى..

ولكن هذه المرة جحظت عيناها وكتمت صراخها وبدأت ترتجف جلست على السرير تقلب الصور كالمجانين متمتة بارتباك: إنه هو.... هو الرجل الذي رأيت نفسي اقتله في الحلم

ولج محمود غرفته ليراها جالسة على السرير تحدق مفزوعة في الصور اقترب منها مختطفاً الصور من يدها ففزعت ورفعت رأسها تجاهه ، ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحدق فيه

- هل أنت بخير ؟ ثقي بأننا سنعثر على القاتل قريباً "

قال كلمات ظنا منه أنه يطمأنها فما زادت بقلبها إلا أوجاعاً وآلاماً حاولت إخفائها طويلاً، حدقت فيه بعينين ملؤهما الدموع وغادرت المكان

بدأ يلملم الملفات ويعيدهما إلى الصندوق وقد شغل فكره نظرتها تلك وهروبها من أمامه...

خرجت وسارت حتى قادتها قدماها لمقبرةٍ في المنطقة دخلتها ونظرت إلى القبور الممتدة أمامها شعرت بسكونٍ غريبٍ ،لكن ما زاد حيرتها هو ذلك الشعور الذي سيطر على كيانها ويدعوها للدنو من قبرٍ كبيرٍ منقوشٍ ومزخرف بطريقة ملفتة ولا شاهدة عليه تدل على من يرقد بداخله

نفس الشعور الذي انتابها بمقبرة هرم زوسر. تلمست القبر و ضوء القمر يضفي خيالات على نقوشه وفجأة ارعبها صوت أحدهم يصرخ :من هناك؟"

استدارت لتواجهه يقترب منها فكان حارس المقبرة ممسكاً عصا بيده ، تنهد الرجل عندما رآها فتاة وسألها :ماذا تفعلين هنا ؟

-..لا شيء اقرأ الفاتحة على روح أبي فقط

-الفاتحة ليلاً ولوحدك هنا!!!حسناً ولكن لا تأت بعد الآن إلى هنا بهذا الوقت المتأخر اقرأيها بمنزلك وستصله .... ؟ عشنا وشفنا بنات آخر زمن "

حوقل الحارس ثم ذهب ليجلس على أحد القبور يزاورها فما كان منها الآن إلا أن خرجت من المقبرة وعادت أدراجها ودخلت غرفتها وفكرها معلقٌ بذلك التابوت الغريب ففيه سرٌ ما وقررت أن تعود إليه ولكن نهاراً.

بعد عدةِ أيامٍ كان واقفاً بحيٍ آخر من أحياء القاهرة يتطلع إلى بقايا هذا الرجل المعلق من شعره الطويل على شجرةٍ بمنتصف الحديقة..

فشعر رأسه مقشوطٌ بطريقةٍ وحشيةٍ ومعلق منهما على غصن الشجرة الكبير، كان ختم مفتاح الحياة صغيراً على جبهته والفم مفتوح ليتدلى الفك السفلي وقد خُلِع بطريقةٍ مروعة.

قال لنفسه وهو يغلي غيظاً وحنقًا : بقي تلك الرسالة اللعينة لعلي أجدها في مكانٍ ما " ..

لكن هذه المرة كانت الرسالة محفورة على صدر الرجل وليست مدونة على ورقة ! مزق قميصه ليقرأ تلك الحروف الدقيقة والواضحة:

يا من كنت من سلالة الشيطان.

دورك قادم

زفر محمود ضيقًا من هذه الألغاز ومن هذا القاتل المحترف الذي لا يترك دليلاً يدينه

قال الضابط لمحمود :إما أن تكون جريمة محبوكة ومتقنة لأبعد الحدود أو...

قاطعه محمود ليكمل:

وربما جماعة من عبدةِ الشيطان

وأردف:

تأكدوا من أن الضحايا بعيدون عن أية منظمات أو ما شابه "

-سيدي وجدنا هذه قرب الشجرة .

قالها أحدهم

وسلمها لمحمود الذي امسك تلك القطعة الصغيرة التي لاتتجاوز بضع سنتيمترات وبدأ يتأملها

كانت مجسماً صغيرًا لمخلوقٍ غريب الهيئة له قرناه ملتفان وجذعه صغير ببطنٍ منتفخٍ عريض مع قدمين قصيرتان بنهايتهما حوافر ويداه تحملان بلورة بيضاء صغيرة جدًا والوجه منحوت بدقة لامتناهية أما لون القطعة فكان أحمر كالدم وعيناه تلمعان بشكل غريب.أثار ذهوله هذا التمثال الشيطاني لصغر حجمه ودقة صنعه .وضعه بجيب بنطاله واستكمل عمله

كانت نرجس تتصبب عرقاً وهي تدور بغرفتها كالمذهولة من هذا الحلم الشنيع الذي حلمت به قبل قليل وفجأة وقفت ونظرت بثبات إلى الحائط بعد أن خطر لها هذا الاحتمال..

وماذا لو لم يكن حلماً !ماذا لو كنتُ فعلاً أقوم بقتلهم دون أن أعلم!

جلست على السرير بذهولٍ في الظلام والحيرةُ تتملكها فسرت قشعريرة قوية في جسدها ، اجتاحتها ايزيس فأمسكت ترجس رأسها من شدة الألم ...

- توقفي أنت تؤلمينني, أين كنت طيلة شهرٍ كامل ؟!..

-دعكِ من هذا الآن ستعرفين كل شيء في وقته فهناك خبر رائع لأجلك, وجدت وائل قاتل أبيك

-أأنتِ صادقةٌ في قولك؟!

-اذهبي غدًا إلى المقبرة "

صدمتها المفاجئة وعادت ذكراها لذلك الوجه اللعين الذي لن تنساه أبدًا،عادت لتكلم ايزيس وتسألها عنه ولكنها الآن كانت قد غادرت

جلست على سريرها باكية لكن بابها قد طرق ، نهضت لتفتح الباب وتفاجئ بمحمود يسأل بقلق:

-أتبكين؟ أأنتِ بخير؟

أشاحت بوجهها بعيداً عنه لتخفي عيناها المتورمة وأجابته بهدوء: كل شيء بخير لا تقلق .

وقف لبرهة يتفحصها علّه يستشف ما وراء حزنها واضطرابها كلما حدثها لكنها اكتفت بالصمت فما كان منه إلا أن يقول بهدوء : حضري العشاء فأنا جائع .

وغادر بعدها مستكملاً طريقة لداخل الفيلا يتمتم بقلق هذه الفتاة تضمر سراً كبيراً "

(6)

((ميونخ -المانيا))

-هيا سنتأخر أسرعي.

قالها لزوجته وهو يعقد ربطة عنقه ويهندم بذلته السوداء فقاطعته بتململ :

-أووف ياسين ألا تستطيع الصبر قليلاً سأنتهي بعد برهة كما أنه أمامنا بعد ثلاث ساعات على موعد الطائرة.

زفر ضيقاًمن جدالها المتواصل بكل شيء وهتف بها

-وكأنك لا تعرفين كم الطريق بعيد هاا!! وأصلاًا ما الداعي لكل هذا الهراء ؟! وكأننا ذاهبون إلى حفلة ؟!"

-هيا اصمت لم أكثر من مساحيق التجميل لتتكلم معي بهذه الطريقة كما أنني انتهيت فلا تفتعل مشكلة الآن حسناً!

حمل الحقائب حانقاً عض على شفتيه غيظًا واستبقها على السيارة ،وبدأ يعيد النظر لأوراقه الشخصية وجواز السفر وبطاقات الحجز والنقود اطمأن عليهم للمرة الألف وتنهد عندما ركبت أخيراً إلى جواره ناظرةً بطرف عينيها الكحيلة التي كاان يذوب فيهما عشقاً قبل بضع سنوات.

أدار محرك السيارة وانطلق ينهب الطرقات حتى قطعت رولا ذلك الصمت المخيم بينهما

-كنت أرغب في توديع اهلي .

فصحح وضع نظارته بعصبية وزفر قائلاً:

-الم تبقي عندهم طوال الأسبوع الماضي لتوديعهم أم أن هذا لاا يحسب ،وأصلاً مالداعي لتوديعهم ، إنها مجرد رحلة لعينة لبضعة أسابيع فقط ؟

-ياسين أنت دائما هكذا وكأ ...

دعس على الفرامل بقوة كانت تطيح براسها على الزجاج وصاح

شش وصل خالد اصمتي الآن "

-حسناً سأخرس وكأن خالد هذا كان ينقصني

خالد:السلام عليكم لم اتأخر أليس كذلك؟

ياسين:وعليكم السلام.لا لم تتأخر ولكن إن بقيت واقفًا مدة اطول ستفوتني الطائرة هيا اصعد.

تدحرج خالد وارتج وهو يجلس على المقعد الخلفي للسيارة

كان خالد بديناً جداً لدرجة أنك تشعر بأن كرشه وأردافة ستندفع متفجرة بأية لحظة من فوق عظامه..وجهه مستدير ممتلئ يبعث على الارتياح والثقة وابتسامته لاتفارق محياه وهذا ما ساعده في عمله كطبيب نفسي فبمجرد رؤيته يتبدد الخوف لدى المرضى ويشعرون بالأمان والسكون وهو إن صح التعبير نقيض ياسين بكل شيء اللهم إلا من حظهما السيء الذي يوقعهما بالمشاكل أغلب الاوقات

أما ياسين فهو طويل جسمه رياضي متناسق بشرته بيضاء عيناه زرقاوان حادتان ورثهما من والدته الألمانية تقدحان ذكاءاً وفطنة لولا أنه يخفيهما تحت تلك النظارة التي لايستطيع خلعها لنقصٍ في نظره

كان يعشق التشريح بجنون منذ صغره فكم من ضفدع مسكين فقد أعضائه بسببه و حتى سحلية تقطعت أوصالها بين يديه، حتى كبر وتخرج من كليه الطب واختص بالجراحة ومع هذا سعى جاهدًا للعمل كطبيب شرعي ونجح في ذلك..

كان يعشق حالات التشريح المتعلقة بجرائم القتل العنيفة وخاصة عندما يقف بشموخ أمام المحقق ليخبره بسبب الوفاة وساعتها وأثرها على جسد الضحية وكأنه كشف سراً غامضًا أو حل معضلةً كبيرة ولكن والحق يقال أنه كان بارعاً في عمله فنشأت علاقة فريدة بينه وبين موتاه المساكين فكان يحدثهم ويمازحهم وكأنهم يحتاجون من يؤنسهم في هذا المكان البارد الموحش!

أما المتدربون فيعتقدون بأنه مخبولٌ نوعا ما وخاصة الجدد منهم حتى اعتادوا على طبعه الغريب مع الموتى وتماشوا معه بل وأقروا بنجاحه رغم سنه الذي لم يتجاوز الخامسة والثلاثين ..

ومشكلته الوحيدة كانت ابنة طبيب عربي يعمل معه بنفس المشفى .

رولا ذات العيون العسلية والضحكة المخملية التي أذابت قلبه وخلبت لبه وذاق المر واستدان الآلاف حتى تزوج بها ولكن هذه المشكلة ما لبثت أن اصبحت كارثة بعد الزواج فطباعها العنيدة عن تحرر المرأة واستقلاليتها التي استمدتها من الغرب وتذمرها الذي لاينتهي قلبت حياته لجحيم حقيقي فكان يتهرب منها أغلب الاوقات ليقضيها في المستشفى أو في المشرحة بين موتاه الاعزاء لقوله:

(انتم هو عشقي الوحيد).

وحكمته التي تعلمها بعد الزواج "المرأة الجيدة هي المرأة الميتة لأنها لا تنطق.

******

واقفة بالمطبخ تعد طعام الفطور وفكرها مشغول بوائل وبإيزيس التي عاودت الاختفاء مجدداً وبتلك الاحلام الوحشية التي تزورها ليلاً وهي موقنة أن لإيزيس سببا فيها، فخطى محمود ووقف خلفها ثم قال :

-نرجس، أريد أن أسألك سؤالاً .

-تفضل سيدي "

عقد ذراعيه أمام صدره واستند على الحائط قائلاً:

-عندما رأيتِ تلك الصور في غرفتي كانت إحدى الضحيتين هي مديرة ميتم (الأمانة)في الجيزة هو نفس الميتم الذي عشتِ فيه أليس كذلك ؟؟

وضعت الطبق على الطاولة، ارتعد قلبها واغمضت عيناها وجاوبته بارتباك .

-نعم سيدي،هو نفس الميتم الذي عشت فيه

-لهذا فزعتي فقد كنت تعرفين سمر ،

-نعم أعرفها ،أعرفها جيدًا.

-وهل كانت اء.

-سيدي أرجوك .

نظرت اليه بتوسل وقلبها يخفق بشدة، جلست على الكرسي وقالت له وهي تقاوم سيل دموعٍ ترقرق في مقلتيها:

إن حياتي في ذلك الميتم كانت كابوساً بحق والذي رأيته منها لن يفارقني بسهولة بل ولن يفارق جميعَ اليتامى الذين تربوا تحت رحمة سمر أنا لا اريد ان اتذكر اي شيء من الماضي يكفيني ماعشته من عذاب هناك ، أرجوك ارحمني، وبالنسبة لقضيتك تلك فانا لن افيدك في شيء فعلاقتي بتلك المرأة انتهت منذ خروجي من الميتم.

تلكأ قليلاً ونظر لعينيها بارتباك وشفقة ،تقدم منها و ربت على كتفها بحنانٍ معتذرا :

-نرجس لم اقصد أن أزعجك هكذا كان مجرد استفسارٍ بسيط ولكن لن اسألك مجدداً .

لقد عرفت انها كانت قاسية جدًا مع الاطفال هناك

وكانت لا ترحم احدا.

تبسمت نرجس بتهكم وأجابته

قاسية!!! والله لكلمة قاسية قليلة جدا ، كلمة لا ترحم رحيمة بحقها .كانت شيطانة

انا اسفة حقاً سيدي ولكن الماضي يتعبني جداً ومعلوماتي عنها ضئيلة حتى وان كانت جارتي وتقطن في نفس الشارع الذي أقطن فيه ولكني كنت اتحاشى حتى المرور بالقرب منها، خرجت من الميتم ولازالت تخيفني، تخيفني حتى بعد موتها .

تبسم لتهدئتها قائلا:

:لا عليك انسي الأمر

كاد أن يغادر لولا تذكر شيئًا :

اه اسمعي صديقي قادم اليوم مع زوجته أريد منك توضيب غرفة نوم الضيوف لهما ..

-حاضر .

****

كان مطار ميونخ مزدحماً كعادته في هذا الوقت من العام.

ودع صديقه خالد بعد أن طلب منه تسليم السيارة إلى حماه العزيز،كان سعيداً وخائفاً بذات الدرجة، فهو أخيراً سيحقق حلمه الذي طالما تمناه ألا وهو زيارة الوطن ..

-هيي لا تقحم نفسك في المشاكل أرجوك فأنا أعرفك جيداً. وأخبرني عندما تصل بالسلامة .

لا تقلق كلها بضعة أسابيع وسأعود .

-مجرد نصف ساعة كفيلة لك بأن تقلب الدنيا صديقي.

طبعاً كانت هذه هي كلمات خالد الأخيرة لياسين قبل أن يتركه وينطلق في طريقه.

مع كل خطوة يخطوها ياسين داخل المطار كانت ضربات قلبه تتسارع ولسان حاله يردد يارب يسر ولا تعسر ، مشى بسرعة حتى كاد ينسى أن زوجته معه تلهث للحاق به،وكانت رولا بدورها تعلم ما تعنيه مصر لزوجها فهي موطنه الذي يعشقه ويحلم بالعودة إليه فأثرت الصمت هذه المرة وتركته بعالمه الخاص شارداً سعيداً .

كان ببساطة يطلب الماضي ، يريد رؤية أبي الهول والمسلات الفرعونية والأهرامات يشتهي أن يتذوق الكشري والفول والطعمية وغيرها من الأكلات الشعبية التي طالما كان والده يحدثه عنها..

أتم إجراءات سفره وهاهو ذا الموظف يختم له جواز سفره ويعطيه بطاقة رقم المقعد ،حان دور رولا فتنحى جانباً لتستكمل إجراءاتها حتى انتبه لتغير ملامح زوجته وتوترها فانطلق باتجاهها خائفاً من مشكلة ما تنسف فرحته بتلك الإجازة التي انتظرها طويلاً..

وتدخل بينهما قائلاً عندما بدأ صوت زوجته يعلو على الموظف.

- هل من مشكلة؟ ..

-هذا الموظف لايقبل أن يعطيتي إذناً للسفر يا ياسين !

فاستدرك الموظف بسرعة مدافعاً :

-عفواً سيدي أن جواز سفرها قد انتهت مدته بالفعل منذ بضعة اسابيع ألم تنتبها إلى هذا قبل حجزكما؟

كتم ياسين غيظه وكم تمنى ان يلكمها على جبهتا البلهاء وقال بصوتٍ حاد

-الم أخبركِ ان اذهبي لتجديده وقلتي لي سأفعل بأسرعِ وقت ! أم أني يجب أن أفعل كل شيء بنفسي.

-هييي لاتستفزني قلت لك ذلك وانشغلت الآن دعنا بهذه المشكلة وكيف سنحلها كما ان الخطأ من موظف شركة الطيران الاحمق الدي لم يلفت انتباهنا لذلك ..

-حسبي الله ونعم الوكيل اصمتي الآن لااريد سماع المزيد من ترهاتك، دائما تلقين باللوم على غيرك "

تركها وتوجه من جديد إلى الموظف يحاول إقناعه بأية طريقة وبأي مبلغ يريد ولكن دون جدوى حتى يأس وجلس على المقعد حانقاً مغتاظا.ً

وكانت رولا قد أدركت خطئها ولكنها لا تريد اظهار ذلك بطريقة مباشرة كيلا تجرح كبريائها فوقفت أمامه بكل شموخ

-ياسين.

يااااسين

اسمع لاعليك اعرف كم أنت غاضب الآن ولكن سافر أنت وسأوافيكَ لاحقاً.

رفع نظره باتجاهها محدقاً ببرود وبقي صامتاً مدة من الزمن حتى رضخت أخيراً للاعتراف بخطئها و جلست بجانبه وأمسكت يديه مردفة.

- هيا لا تتردد اعترف أني هذه المرة أخطأت وسأتحمل نتيجة خطأي أنت اذهب و لا عليك بضعة أيام أو أسبوع سأكون قد جددت جواز سفري ولحقت بك .

-رولا افهمي كيف سأتركك هنا

-هيا لاتقلق كل شيءٍ سيكون بخير لن يصيبني مكروه فقط ثق بي لن اذهب لمنزلنا سأمكث عند اهلي ريثما يحين موعد السفر توكل على الله واذهب أنت هذه فرصتك الاخيرة هيا ها هو نداء طائرتك الآن.

أطلق نداء الطائرة الأخير وبتشجيع من زوجته حزم أمره ونهض متوكلاً على الله عانقها وحمل حقائبه متجهاً إلى طائرته.

******

بعد جولة مطولة لمتاجر بيع الأنتيكا والمعارض لم يجد شبيهاً أو حتى أحداً يشرح له عن سر هذه القطعة الفريدة ، حتى دخل متجرا.ً قديما مالكه شيخٌ طاعنٌ في السن أعطاه ذلك التمثال يسأله عله يجد جوابا فتأمله الشيخ بتمعن وتفحصه ونظر لمحمود باستغراب

-يا الهي.هل تعمل بالسحر أيها الشاب .

طالعه محمود مستنكرا :

-أعوذ بالله من غضبه ، لا طبعاً .

إذن ،من أين حصلت عليها يا بني ؟إنها قطعة حقيقية .

وعندما زاد ارتباك الرجل العجوز أظهر محمود بطاقة الشرطة الخاصة به ثم سأله بثقة :

-أريد أن أعرف كل ما يتعلق بهذه القطعة لو سمحت .

أومئ له الشيخ ثم ولج إلى غرفة بداخل محله وغاب فيها وقتاً من الزمن حتى خرج وبيده كتابٌ قديمٌ جدًا مصفرة أوراقه بالكاد استطاع محمود قرائة حروف غلافه المتآكلة ((فراعنة .....السحر الأسود)) فتحه وبدأ بتقليب صفحاته المتآكلة من أطرافها حتى وقف على صفحة معينة

-ها هي "

وأشار إلى صورة مرسومة لمجموعه تماثيل من ضمنها هذه التي عثر عليها وبأسفلها كتابة صغيرة .

-إنها تميمة لطرد الروح وهلاكها في الجحيم يا بني .

-لم أفهم سيدي .

-اسمع

وضع الرجل الكتاب على الطاولة وجلس يرتشف من كأس الشاي البارد وبدأ يقول له :

إن الفراعنة كانوا يؤمنون بالسحر إيماناً عظيماً راسخاً ويعملون به وهذه التماثيل أو التمائم هي ضرب من ضروب السحر يرتديها الفراعنة كقلادةٍ تحميهم وترعاهم سواء في حياتهم أو يلبسونها لموتاهم قبل تحنيطهم لتساعدهم في الدار الآخرة وتبعد عنهم السوء أو يستعملونها كسحرٍ أسود لتؤذي أحداً ما وهذه التميمة بالتحديد هي لطرد الروح من دار الخلود إلى جحيم جهنم بنظرهم فالقليل من دم الميت تمتلئ به هذه التميمة مع قراءة بضع تعويذات معينة كفيلة بطرده وجعله مجرد روح عالقة في جحيم الأرض تتعذب إلى مالا نهاية وكي يزيد الأمر سوءاً تجمع عدة تمائم بعد مقتل أصحابها من البشر ويشترط أن يحملوا نفس الدم أي من نفس السلالة ليتعذبوا عذاباً جماعياً و بهذا يكون انتاقماً قوياً لعائلةٍ واحدة "

ضحك محمود باستهجان وهو يتأمل تمثاله الصغير المقزز ويقول بنبرة ساخرة : ما هذه التخاريف !

تنهد العجوز مردفاً وقد قطب جبينه :

نحن نعرف أن معظم ما قلته يبقى تخاريف فرعونية قديمة وأساطير يابني لكن السحر موجود وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، عليك الحذر عند التعامل مع الجاني فالأمر من الواضح أن ورائه قضية قتل مروعة ولربما هنالك تعاملٌ حقيقيٌ مع الجن ،،هذه التميمة تحمل دماءً بشرية والسحر يكمن في طريقة امتلاء هذه التميمة به ، إنه كفر صريح وكما تعلم الساحر كافر والعياذ بالله .

****

بقي يفكر بكلمات ذلك العجوز وهو يقود سيارته مسرعاً يحاول ربط هذه الجرائم بالتميمة ، ساحر !بهذا تكون القضية اتخذت منحى مختلف تماماً ،

إذاً هؤلاء جميعاً من نفس السلالة لكن كيف عرف الجاني بصلة القرابة وهي بعيدة بينهم ! هذا إن افترضنا أن كلام العجوز صحيحاً والقاتل يعلم ذلك ويلعب على هذا الأساس وهذا يسهل المهمة قليلاً أو يزيدها تشابكًا ،

ولكن سمر تلك قضية مختلفة ي!! فلا نسب بينها وبينهم ، لا بد وأن نتعمق أكثر بأجزاء القضية "

وصل إلى مكتبه، وضع القطعة أمامه على الطاولة وانخرط مجدداً بعمله ..

****

أخيراً مصر "

تبسم ياسين كالأبله وهو ينزل من الطائرة .. أكمل إجراءات دخوله وتوجه ناحية قاعة الخروج ليواجه الحشود المجتمعة للترحيب بذويهم وبدأ بالبحث عن وجه صديقه حتى انشق من بين الحشود ضابطا أمن مصريان طويلان عريضا المنكبين ذوي وجوه عابسة لاتعرف معنى المزاح، تذكر الأفلام البوليسية التي كان يتابعها أيام مراهقته وتبسم، بقيا مدة يحدقان به ويتهامسان حتى تقدما نحوه فجفل وصحح من وضع نظارته الطبية كعادته كلما شعر بتوتر.

-السيد ياسين جلال أليس كذلك؟

-ن..نعم أنا ياسين جلال هل من مشكلة سيدي ؟

-تفضل معنا

تأكدا من هويته ، سحبه الأول من يده والآخر حمل حقائبه وسارا به خارج مبنى المطار ليتوقفوا عند سيارة شرطة فأبعد ياسين يده ووقف مصدوماً عندما رن هاتف الضابط الأول فأنصت له وهو يقول:

نعم جلبناه سيدي حاضر إنه معنا الآن .

مفهوم....مفهوم ...احترامي سيدي.

هنا ياسين لم تعد تحمله قدماه ترى ما الذنب الذي اقترفه حتى تستقبله الشرطة هكذا ويقتادوه بهذا الشكل المفاجئ؟

- تفضل اصعد إلى السيارة .

-عفوا اؤكد لكما أن هنالك سوء تفاهم أنا..

-ألست الدكتور ياسين جلال.

- أنا هو .ولكن لم أفؤ

قاطعه احدهما قائلاً : إذن تفضل واصعد السيارة هيا سيادته بانتظارك.

-سيادته!! ولكني لم افعل شيئا لكي تلقيا القبض علي لم تطأ قدماي بعد أرض الوطن كما أن أوراقي ودخولي نظامية

حدق الضابطان ببعضهما ثم تعالت ضحكاهما ولم يتمالكا نفسيهما فشعر بحرج شديد واحتقن وجهه انفعالاً حتى بادره أحدهما قائلاً :

عفوا سيد ياسين يبدو أن هنالك سوء فهم بسبط فسيادة الضابط محمود لديه عملٌ مهم اليوم وأرسلنا بدلاً عنه لاصطحابك إلى المنزل الذي ستقيم فيه نحن نأسف لتعريضك لهذا الموقف المحرج فنحن مجرد لجنة استقبال إن صح التعبير "

وكأن أحدهم قد قام بسكب دلو ماء بارد عليه ، توقف ارتجاف جسده ومسح عرقًا وهميًا وكتم ضحكته هو الآخر ثم تنهد ارتياحاً بعدما استوضح الأمر وركب معهما حتى أوصلاه إلى المنزل ، ترجلوا من السيارة و تأسفا له مرة ثانية وغادرا المكان ليقف وحده متاملاً المدخل برهة قبل أن يتقدم الحارس ليفتح له البوابة ويستقبله بحفاوة ويحمل الحقائب إلى الداخل .

كان المنزل كبير قديم يحمل بين أركانه رائحة التراث المصري الأصيل بزخارفه ونقوشه وأثاثه الموزع بأناقة وفخامة و الذي يزيد من روعته تلك التماثيل الفرعونية الصغيرة والفازات المنتشرة بأرجاء الصالة كان شارداً بهذا التناغم الجميل وذلك البواب ذو الجلباب الأسود والعمامة البيضاء يتكلم ويتكلم بلهجته الصعيدية الثقيلة...

أغمض عيناه فشعر أنه بفيلم مصري قديم كالذي كان يتابعه مع والده بصغره وتخيل شادية تقف أمام عبد الحليم وهو يغني لها..

سرح بخياله بعيداً وخاصة مع الموسيقى التصورية التي يقدمها له البواب بثرثرته التي لم تنتهِ إلى الآن ولم يفهم منها شيئًا لشروده حتى عاد إلى الواقع وتشكر البواب الذي علم أن اسمه صلوحي وذهب ليجلس على الأريكة.

دقائق مضت حتى دخل صلوحي يحمل فنجان شاي ثقيل وضعه أمامه ورفع جلبابه الطويل ليبرز أسفله بنطاله القطني الأبيض الضيق وجلس متربعًا على الأريكة المقابلة وعاد إلى ثرثرته مرة أخرى

كان ياسين جافلاّ مشدوها من هذا الثرثار الذي حكى له قصة العائلة وحياتها حتى الجد العاشر وإن لم يتصرف ويسكته فسوف يصل بسيرته لأجداده الفراعنة، طلب من صلوحي أن يدله على غرفته التي سيبيت فيها وطبعًا لم تنجح الخطة فكان صلوحي يثرثر حتى وهو يصعد درج الصالة ليوصله إلى غرفته ودخل معه الغرفة وبدأ يشرح له أين سينام وأين سيضع ثيابه.

وهكذا حتى كاد يجن جنون ياسين

- عم صلوحي أرجوك أريد أن أنام عندما يتصل أو يأتي محمود اخبرني

-بأمرك يا سعادة الباشا سأخبرك عندما يأتي و الآن تريد شيئاً اخر

-لا لا شكرا أريد أن أنام فقط

يووووه يا الهي ما هذا؟ أغلق الباب وتذكر رولا وأحاديثها التي لا تنتهي حتى أفلتت منه ضحكة عفوية وأمسك رأسه قائلاً : إذن يا رولا يبدو أنك ستلازميني هنا كذلك ولكن بنسختك المصرية الآن بدأت أؤمن بتناسخ الأرواح.

وقهقه عاليًا .

تأمل الأثاث المزركش للغرفة والسرير الواسع المحفور بزخارف مذهبة مدهشة تنم عن ذوق رفيع .وتحتها سجادة يدوية الصنع زاهية الألوان .

خلع عنه قميصه وارتمى على السرير ولم تمض لحظات حتى نسي رولا وأمم رولا و صلوحي وغط في نوم عميق.

.....

عادت من السوق بعد أن جلبت ما تحتاجه ودخلت إلى المطبخ لتعد طعام العشاء للضيوف وانهمكت بتجهيزه مسرعة حتى شعرت ب ايزيس تحوم حول النافذة مكشرة عن ضحكة أصبحت نرجس تكرهها ، تركت عملها ونظرت باتجاه الصوت وهي تغلي غيظًا

-ماذا تريدين مني الآن ؟

إن كنت تريدين معرفة ما يجري حقًا فلتذهبي إلى المقبرة الليلة ألم أقل لك أن تذهبي إليها .

توقفي عند القبر الكبير المزخرف وستعلمين كل شيء حينها ..

-عرفت أن لك علاقة بذلك القبر، حسناً سأذهب الليلة إلى هناك و لنرى يا ايزيس ما الذي تخططين له .والأن اتركيني علي أن أقوم بإنهاء أعمالي .

ابتسمت ايزيس وعلقت حول رقبة نرجس طوقاً قرمزي اللون بيضاوي الشكل يتلألأ بداخله ألوان متناغمة غريبة التدرجات ، ثم همست لها : لا تخلعيه أبداً .خاصةً أمام الزائر الجديد" ولوحت لها مغادرة.

حدجت نرجس ذلك الطوق بعدم اكتراث ثم عادت من جديد إلى عملها وهي تفكر بطريقة تدخل فيها بدون أن يراها حارس المقبرة الحشري ..

******

فتح عيناه وتثاءب ناظرا لساعة يده السوداء، تمطى قليلاً ثم نهض من على السرير متوجها إلى الحمام المتواجد في غرفته، شطف وجهه وسرح شعره الأسود وتوجه إلى الغرفة ينتقي قميصًا مناسباً يرتديه ليخرج إلى الصالة حتى فتح أحدهم عليه الباب فجأة فصرخت الفتاة تعتذر وتتأسف له بارتباك شديد أما هو فوقف مشدوها من هذا الجمال الساحر الذي سرق قلبه دون سابق إنذار

شعرٌ أسود طويل متماوج بوجه فرعوني وعينان واسعتان بلون تراب الأرض، البشرة سمراء مخملية وجسد كسيمفونية متناغمة الإيقاع..

قالت بارتباك وخجل :

-سيدي أعذرني طرقت الباب مطولاً يبدو أنك لم تسمعني..

أراد أن يتكلم ، أن ينطق بأي كلمة ولكن الحروف وقفت في فمه تأبى الخروج ، اعتذرت وغادرت مغلقة الباب خلفها ، قرر أن يلحق بها ليعرف من تكون هذه الأميرة الفرعونية التي سحرته بجمالها ولكنه تذكر قميصه ارتداه على عجل وخرج يتقافز درجات السلم المؤدية إلى الصالة باحثاً عنها

أفاق من عالمه الوردي على صوت محمود:

-صديقي العزيز أخيرًا استيقظت حمدًا لله على سلامتك وأهلا بك في منزلي المتواضع "

خفف من سرعة هرولته على الدرج حتى وصل لعند صديقه وعانقا بعضهما وهو يبحث بعينه عن تلك الجميلة

-كيف حالك يا فتى "

رفع محمود حاجبيه استنكاراً ثم قهقه مجيباً:

-ضابط ملئ بذلتي وتنعتني بالفتى أيها الدكتور "

لكزه ياسين بخفة على ذراعه قائلاً بمرح :

-مهما عليت بمنصبك وارتقيت تبقى محمود الشقي صديق طفولتي ، لما لم توقظني فور وصولك؟

لم اشأ إزعاجك يبدو أنك كنت منهكاً جداً فصوت شخيرك أرعب الحي كله !

- معك حق كنت مرهقًا.

تقدما ليجلسا على الأريكة المخملية ذات الحواف الخشبية المذهبة المحفورة بإتقانٍ شديد:

-أين رولا ألم تقل لي أنها ستمضي الإجازة معك؟

تنهد ياسين بعمق وأرجع رأسه للوراء يتأمل السقف ذو الثريا الضخمة المعلقة عليه والتي لا تقل فخامة عن أي جزء من أجزاء المنزل .

-رولا ...آاااه منها ألا تعرف تصرفاتها ومفاجأتها التي لا تنتهي.

لاذ محمود بالصمت وهو يحك ذقنه ، فهو يعرف عائلة رولا جيداً ، أباها المتملق ذو الأحاديث المملة والأفكار الغريبة التي تدفعك للجنون أحياناً وللإنتحار أحياناً أخرى ، يكاد يجزم أن أغلب حالات الانتحار في ألمانيا سببها حماه ، أراد أن يغير الموضوع فسأله ممازحاً .

-وأخي خالد كيف حاله ؟أمازال بدينا كعادته !

قهقه ياسين مؤكدًا:

مازال بدينا كما رأيته آخر مرة "

****

كانت تضع طعام العشاء على الطاولة وهي متوترة فلأول مرة يخفق قلبها بهذه الطريقة ولا تدري السبب. شعور انتابها لم تألفه نفسها من قبل ولم تعرف ما هو حتى حضر عم صلوحي وطلب منها الإسراع في إعداد الطعام وقام بمساعدتها حتى انتهيا وعادت أدراجها إلى المطبخ.

أما ياسين فما زالت عيناه تتفحصان كل ركن بهذا المنزل أو القصر الذي لطالما حدثه خالد عنه وعن فخامته وعراقته.

إن منزلكم جميلٌ جدًا أشتم فيه رائحة التراث والأصالة، ياه كم أحب المنازل من هذا الطراز و. واااو جريفون يا لجماله"

ونهض منبهرًا يمشي باتجاهه كطفل رأى أرجوحة العيد، تلمسه بيديه انبهارًا فتقدم منه محمود وأطلق ضحكة عاليةً مصححًا له: يا عم. اسمه جرامافون.

-حسنا،ً لا يهم، هل يعمل؟

نعم يعمل سأشغله لك ولكن ليس الآن، بعد أن نتناول طعام العشاء.

قطع حديثهما عم صلوحي ودعاهما للحضور، ليتبعه الشابان بروية، أما غرفة الطعام فلا تقل روعةً وجمالًا عن المنزل فاللوحات الزيتية المعلقة على الجدار تتناغم مع التماثيل الموزعة بأرجاء الغرفة واكتملت هذه اللوحة الرائعة بدخول جميلته ذات الوجه الفرعوني الأصيل التي اذهلته بجمالها وكأنما هنالك قوى سحرية تشده إليها، بدأت بتقديم الطعام لهما وعيناه لا تفارقانها لحظة واحدة، زاد ارتباكها من نظراته الجريئة فأسرعت بملئ صحنه واستأذنت بأدب من محمود الذي انشغل بحديث مع صلوحي فلم ينتبه لنظرات ياسين الغريبة نحوها.

-سيدي إن كنت لا تريد مني شيئًا آخر أود المغادرة.

-لا شكرا لك يمكنك الذهاب ولكن غدًا لا تتأخري.

صداع مفاجئ ألم بها، وعرفت هي سببه، بالتأكيد إيزيس قد احتلت جسدها مرة أخرى ناوية على فعل كارثة! تركتهما وغادرت الحجرة بعد أن نظرت مباشرة بعين ياسين نظرة غير مفهومة، فبادلها نظرة بدوره وابتسم لها بمكر على خلاف أخلاقه وعادته ثم التفت إلى محمود قائلًا:

-كيف تسمح لها بالخروج بهذا الوقت المتأخر يا محمود؟

-وما المشكلة! وكيف تريد مني أن أمنعها.

-إن فتاة صغيرة وجميلة تخرج بهذا الوقت لهو خطأ فادح يا صديقي ألا تدرك عدد الأوغاد المنتشرون في الخارج كذئاب برية!

استدرك محمود مقصد ياسين فأجابه '

- أنت متسرع دائما كعادتك، إنها تقطن في الملحق الخارجي.

هز ياسين رأسه ثم عاود سؤاله:

- ولما لا تعيش بالداخل فغرف المنزل كثيرة على ما يبدو؟

شابك محمود أصابعه فوق الطاولة ثم أجابه:

-يا صديقي كيف لها أن تنام هنا وأنا شاب أعزب أعيش وحيدًا، وأنت قلتها هي صغيرة وجميلة أنسيت أننا في مصر وليس عندك في ألمانيا! ا

-معك حق غلبتني هذه المرة.

-هيا كفاك ثرثرة الآن عنها وتناول طعامك سيبرد.، ضحك ياسين. وكف عن الثرثرة، لكن عقله لم يكف عن الثرثرة أبدًا بشأنها، تذكر بهذه اللحظة نظرتها الغامضة تجاهه وكأنها ترسل له إشارة ما، إشارة جميلة جدًا غزت تفكير لثوان قبل أن يغمض عينيه مستغفرا الله سبحانه فهو متزوج على أي حال ويحب زوجته كثيرًا ومن المستحيل أن يفكر بغيرها فالخيانة اشد من القتل بالنسبة إليه.

*****

(7)

التحفت بردائها الأسود لتستتر في ظلام الليل وأسرعت الخطى إلى المقبرة حتى وصلت إلى البوابة الحديدية نظرت حولها بتوجس من الحارس ولكنها لم تجده فتسللت بهدوء بين المقابر

وركضت باتجاه القبر الكبير المزخرف، الغريب أنها لم تشعر بخوف أو رهبة هل ماتت أحاسيسها لتلك الدرجة! تساءلت ثم ما لبثت أن نفضت عن تفكيرها هذه التساؤلات التي لن تفيدها بشيء، في طريقها كادت أن تتعثر عندما اصطدمت قدمها بكتلة طرية بالقرب من إحدى القبور لكنها لم تأبه لها والظلام كان حالكًا جدًا فأكملت طريقها ووقفت عند القبر الكبير وانتظرت.

ولكن لم يحصل شيء، فكرت أن تنادي إيزيس لكنها خشيت أن يستدل الحارس على صوتها فيحضر، لاذت بالصمت وبدأت بالدوران حوله، فجأة تسلل ضوء القمر وتسلط عليه، فبدا المشهد غريبًا جدًا، وكأنها بإحدى أفلام الرعب الذين كانت تشاهدهم خلسة قديمًا في الميتم وبانت لها تلك النقوش والزخارف مريعة الشكل المنقوشة على جدران القبر، تلمستهم بيديها حتى عثرت على مجسم ما برأس التابوت.

كان مقبضًا حديديًا دائري الشكل أمسكته وسحبته بقوة فبدأ غطاء التابوت بالتزحزح من مكانه ليكشف عن درج حجري بداخله. نظرت حولها بتردد ودخلت التابوت، هدأت من صوت أنفاسها المتسارعة وبدأت بنزول الدرجات حتى انغلق غطاء التابوت من فوقها بقوة ارتعد قلبها في هذا الظلام الدامس وبدأت تلعن ايزيس وتشتمها وهي تتلمس الحائط وتهبط الدرجات بحذر وصوت ترشح المياه التي تقطر من الأعلى على طول الدرج زاد الأمر سوءًا. حتى انكشف لها بصيصُ ضوء خفيف قادم من الأسفل.

كان الدرج عميقًا جدًا فشعرت بأنها تهبط وتهبط دون أن تصل إلى مكان، طال نزولها حتى خطت قدماها أرض رواقٍ طويل ضيقٍ غارقٍ بالمياه التي وصلت إلى ركبتها،سارت فيه

متجاهلة رائحة الرطوبة العطنة وصعدت مجددًا عدة درجات لتصل إلى بهو كبير مضاء بمشعل ضخم تتراقص نيرانه في منتصف البهو على عمود حجري مزخرف بوجوه شياطين مخيفة الشكل وينبثق من أفواهها سائل ذو لون أحمر قاني ليسيل على بركة، تحيط بالعمود جدران حجرية عتيقة جدًا وأمام إحداها مصطبة حجرية طويلة مزخرف جدرانها بحروف وكلمات باللغة الهيروغليفية، وفي الزاوية لمحت مهدًا يهتز من تلقاء نفسه مصدرًا صريرًا خافتا اقتربت منه فحدقت بذهول وصدمة!

-طفل!

فزعت عندما رأت طفلًا صغيرًا وديعًا ينام في المهد في هذا المكان الشيطاني، تراجعت بخطواتها لتصطدم بشيء ما، التفتت إلى الوراء لترى

(حتب سخت)ذو الوجه الجهنمي ينتصب ملتفًا بردائه الأسود، كتمت شهقتها وتحاشته لكنه ظل يرقبها ويلتفت بجسده إلى حيث تذهب

-. ماذا تريد مني؟ وأين إيزيس؟

سألته بصوتٍ مرتجف وهي تبحث بعينيها عن إيزيس الغائبة، خرج صوت قبيح مريع تردد صداه في المكان:

لبيتِ الدعوة أخيرًا لكم انتظرتكِ هنا.

-ماذا تريد مني؟

-التميمة.

-أية تميمة لم أفهم.

-التميمة التي أخذها ذلك المحقق من مكان الحادث أريدها.

-ولكن مهلًا أي قتيل تتكلم عنه!

ظهرت ملامحه المخيفة بوضوحٍ شديد، هجم على نرجس بقوة أطاحتها أرضًا فشعرت بتمزق عظامها من شدة الألم، ثم أردف بصوته الجهوري:

لا تكثري من الكلام يا فانية، نفذي ما أمرتك به وإلا.

لن أخلصك من جحيمك "

زحفت وبالكاد تجر قدميها، ألصقت ظهرها بالحائط وتكورت على نفسها تمتم له بذعر:

-حاضر حاضر سأنفذ طلبك سأبحث عنها "

مسحت دموعًا سالت على وجنتيها فتراجع راضيًا ثم اختفى وراء ستارة تؤدي لحجرة خلفية، ظهرت هذه المرة ايزيس كإنسانةٍ طبيعية تحمل الرضيع الذي بدأ بالصراخ، هزته قليلًا وهي تغني بخفوت وبصوتٍ ناعس حتى صمت. دارت عينا نرجس بينهما وتمتمت:

وضعت مولودك!

-نعم. إنه ابني حورس يانرجس، ملك ملوك مصر الجديد،

ثم أردفت بعدما تلمست وجنته البيضاء الناعمة،

أخيرًا سيكبر الصبي في عالمكم بأمان لأحقق انتقامي

-كيف عاد لكِ جسدك!

-إنها القوى التي منحها حتب سخت لهذا المكان من دونها لااستطيع الاعتناء بطفلي .

-إذن لهذا كنت تتغيبين عني طول فترة مكوثي عندي الضابط .

-نعم ياصغيرة.

*****

كانت تحمل بيدها زجاجة بها سائل أحمر اللون مائل للسواد وبدأت ترضع بها ذلك الطفل فوقفت نرجس واقتربت منها لتنظر إليه، كان طفلًا جميلًا بحق. ولكن أيعقل أن تكون روحه شيطانيه كأمه!

كان الرضيع يشرب السائل بنهم شديد.فنظرت نرجس بعيني ايزيس مصدومة وسألتها: ماهذا؟

إن لونه أحمر أجيبي ما الذي ترضعيه للطفل. أترضعينه دماءًا؟

-لاطبعًا إنه شراب مكون من ألف نوع من الأعشاب ممزوجة مع بعضها تعطي القوة والصلابة الروحية والجسدية لءء.

زفر حتب سخت ضيقًا وقاطعها عندما خطى من خلف الجدار.

كفي عن الشرح الذي لافائدة منه، بالمناسبة يانرجس الدم الحقيقي هو في البركة أمامك.

التفتت نرجس وأجبرت على النظر إلى هذا الوجه المريع وهو يتحدث لتستفهم أكثر، فاستطرد يحدثها:

-تحتوي هذه البركة على دماء الذين قتلتيهم ابتداء من سمر "

صرخت نرجس باكية: أنت كاذب أنا لم أقتل أحدًا!

لكنه أردف وهو يتقدم منها حتى صار قريبًا جدًا، أغمضت عيناها متحاشية النظر على وجهه المفزع:

-كانت ايزيس تستحوذ على جسدك ليلاً فتقومين بقتل الرجال من سلالة ست وإفراغ دمائهم في تمائم لطرد أرواحهم ومنعهم من الانتقال إلى العالم الآخر، في عقلك اللاواعي الآن تستقر تعويذة من كتاب السحر الأسود، ترددينها في كل مرة تقتلين، فتنتقل الدماء لتلك التمائم، وفي تلك الليلة، سمعت أصوات رجال تقترب ف أصبتِ بارتباكٍ وسقطت التميمة من يدكِ وتدحرجت على الأرض الترابية.

سقطت نرجس أرضا واعتصرت شعرها بقبضة يدها وهي تحدث نفسها بصدمة " لم يكن حلمًا!

نظرت مجددًا إلى البركة وتأملت الوجوه جيدًا

هل وصلت بك القسوة لهذا الحد يا ايزيس. أن تجعليني أقتل الأبرياء الذين ليس لهم علاقة بشيء.

فأجابتها:

إنهم من سلالة الشيطان. واليه ينتمون وبدونهم لن أحقق انتقامي كما أني سأخلص مصر منهم ومن قذارتهم.

-ووائل. ألم تخبريني أنك عثرتي عليه أريده.

كما جعلتموني أقتل كل هؤلاء بغير اردة مني اجلبوا لي وائل، وسأغادر الآن قبل أن يكتشف أمري ذلك الحارس. . ضحك حتب سخت بصوت ارتجت له جدران القاعة وقال:ولكن الأموات لا يعودون يا صغيرة ..

-ماذا !

قالت لها ايزيس.

-لقد قتلنا حارس المقبرة وتعثرتِ بجثته في طريقك ولكن لخيبتك لم تهتمي لذلك الأمر وتابعتي المسير.

لما.

كان سيفتضح أمرك إن رآك ولكن والحق يقال أني حزنت عليه، ما كان لنا ان نقتله ولكننا اضطررنا لذلك أما بالنسبة لوائل سأجلبه لك ولكن ليس الآن.

أكمل حتب سخت حديثه بجدية. والآن اسمعا أنتما الاثنتان

وبدأ يشرح أعمال المرحلة التالية وهما تنصتان.

*****

منذ قدومه إلى منزل صديقه وبعد تلك النظرات المبهمة التي أهدته إياها لم يلمح تلك الجميلة إلا نادرًا وكأنها تتحاشاه لسبب ما وشعر بإحساسٍ غريبٍ وغامض تجاهها وبتصرفاتها فحتى

عندما يتقابلان ترمقه بنظرة غريبة لم يستطع تفسيرها أو فهمها، هنالك سر غامض يحيط بها، كما بات حبها يحيط قلبه!

عندما فتح عيناه صباحًا رآها ترتب غرفته وتضع له تمثالًا صغيرًا غريب الشكل على المنضدة بجواره، وعلى الرغم من أنه قبيح. بل قبيحٌ جدًا إلا أنه أحبه بشكل مفاجئ عندما قالت له بابتسامتها المشرقة التي تدغدغ ثنايا قلبه:

-صباح الخير سيد ياسين، هذا التمثال كان مخبئًا في الخزانة فنطفته وأعدته مكانه أليس جميلًا

تعلق بصره بتلك العينين اللوزيتين ذات الأهداب الطويلة وأجابها بلهفة وهو يعتدل بجلسته:

-بلى إنه جميلٌ جدًا، بل رائع "

****

تناول فطوره برفقة محمود الذي ما لبث أن خرج إلى عمله بعد انتهائه من الطعام، واعدًا إياه بجولة لا مثيل لها بالقاهرة بعد أخذه إجازة من عمله، والله وحده يعلم متى سيأخذها بالطبع!
انتقى كتابًا من إحدى الكتب المتراصة في مكتبة المنزل وهم بقراءته، وبعد قضاء ساعة من الزمن قرر الخروج للتفسح قليلًا بشوارع القاهرة، يقولون أنها مزدحمة وصاخبة، لكنه سيحبها، بل هو يحبها من الأساس، أليست بلده الحبيب الذي طالما اشتاق لرؤيته

وفي المساء عاد من جولته التي طالت لمدة تجاوزت السبع ساعات وهو يجوبها سيرًا تارة، وتارةً أخرى بسيارة الأجرى بعد أن قال لصاحبها (خذني لأجمل مكان في المدينة)، فحدق فيه السائق بتساؤل ثم أوصله إلى مسجد محمد علي، حينها أنقد السائق نقوده وترجل من السيارة

ناظرًا لهذه التحفة المعمارية البديعة، صحيح انه بني على الطريقة التركية، بل إنه يشبه إلى حد كبير جامع محمد الفاتح باسطنبول، إلا أن له روح وقدسية خاصة بمدينته الحبيبة، تأمل منارتيه الرشيقتين وقبته الكبيرة وابتسم راضيًا وهو يدخله،

كسيت جدران المسجد من الداخل والخارج بالرخام والمحراب كذلك كان من الرخام والمنبر رخامي كذلك، وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم بالمسجد، وهو من أكبر المنابر في الآثار الإسلامية، وقد حلي بنقوشٍ مذهبة. وكسيت جميع جدران المسجد أعلى الكسوة الرخامية من الداخل ببياض حلي بنقوش ملونة مذهبة، أما القبة الكبيرة وأنصاف القباب فقد حليت بنقوش بارزة مذهبة تمثل عقودًا وزهورًا يتوسطها هلال، وكتب في أضلاع القبة بالتناوب بسم الله، ما شاء الله، تبارك الله.

فتمتم مرددا، فعلًا. ، تبارك الله على هذا الإبداع

طال تأمله لكل ركن في المسجد لخارجه وداخله ثم جلس قليلًا على السجادة يريح جسده بعد هذه الجولة، فحان موعد أذان العصر، صدع صوت المؤذن العذب فألق عبنيه باستمتاع حقيقي وطمأنينة كبيرة، لطالما كان يرغب بسماع الأذان بهذا القرب بل بتأدية الصلاة بالمسجد لكن معيشته بألمانيا وبسبب بعد منزله حال دون أن يحقق ذلك، إلا مراتٍ قليلةٍ جدا، (الغربة سلبت مني الكثير، تمتم لنفسه وهو يرى الرجال قد بدؤوا بالوفود لتأدية الصلاة فما كان منه إلا أن يذهب ويتوضأ لمشاركتهم.

******

الغريب بكل هذا الأمر، أن نرجس قد اختفت من تفكيره تمامًا ما إن عبر البوابة الحديدية للمنزل صباحًا، واجتاحت كيانه مرة أخرى ما إن رآها تفتح له الباب وتقف أمامه بقامتها الممشوقة ترحب به،

غادرت الصالة لتأدية واجباتها فتوجه من فوره ناحية الجرامافون أخرج إبرة من العلبة وبدلها وانتقى اسطوانة لعبد الحليم مشغلًا إياها كما علمه محمود سابقًا، دوى صوت الاحتكاك ودارت الاسطوانة فاستلقى على الأريكة عله يرتاح قليلًا قبل عودة صديقه، أشعل سيجاره وبدأ يدندن مع أغنيته المفضلة.

بحبها. وفي قلبي ساكن حبها

يا ريت يا شوق

توصلها. ويحس فيا قلبها

بحبها. بحبها.

سمعت صوته وهو يغني مع اسطوانة عبد الحليم تدخلت ايزيس واحتلت جسدها مجددًا فقد قررت أن تتسلى، برقت عيناها وذهبت إلى الصالة وأفلتت منها ضحكة عندما رأته فأجفل وأصلح جلسته أما هي نظرت لعينيه بثبات وقالت بدلال:

سيدي هل من خدمة أقدمها لك

-اشكرك لا أريد شيئًا

-حسنًا ان احتجت لي فأنا في المطبخ.

ان رغبت بأي شيء، أنا في الخدمة دائمًا.

(بكرا خلاص ح قولها روحي لها

عقلي لها وحقولها هي الهنا

هي المنى. هي حياتي كلها.)

ردد اسمها غارقا بتلك العينان الغريبتان وصوت عبد الحليم يترجم إحساس قلبه الذي اضطرب حتى استأذنت وانصرفت تتمايل بمشيتها، رعشةٌ غريبة انتابته بعد مغادرتها وكأنه صحا من حلمٍ جميل، أغلق عيناه مجددًا بقوة وصعد غرفته،

لقد شل تفكيره تمامًا عندما كانت تنظر إليه ضربات قلبه تسارعت وشعر بأن الخيانة قد بدأت تعلن نفسها وبجدارة في قلبه.

اخرج هاتفه وحاول الاتصال برولا عدة محاولات ولكن لم تجيب غضب وألقى الهاتف حانقًا

غبية رولا أنا أحتاجك الآن يا حمقاء لا أريد خيانتك.

استبدل ملابسه وجال الغرفة جيئة وذهابًا حابسًا نفسه فيها وأخيرًا جلس على فراشه التفت لتقع عيناه على ذلك التمثال الغريب الذي توهجت عيناه ومعها توهجت عينا ياسين وشرد فيه مطولا حتى طرق عليه الباب ودخل محمود:

- كيف حالك، لم أرك في الأسفل هيا لنتناول العشاء فقد جهز.

-أهلا محمود.كنت متعبًا قليلًا من جولتي فاستلقيت،

سألحق بك حالًا

******

بعد أن أنهت إعداد العشاء عادت إلى غرفتها وبدأت تصرخ بإيزيس

- حمقاءٌ أنت وتصرفاتك

-انا انفذ طلبات حتب سخت يانرجس إن بقيت انتظرك لن نحقق مرادنا

-تبا لك وله ولمرادكما الغبي ألم تري انه متعلق بزوجته ويحبها حتى مع تلك التعويذة الغبية لم ننجح.

-بلى نجحتِ يا نرجس نجحتِ حتى قبل ان تضعي له التمثال انسيتي نظراته لك. ولكن الموضوع يحتاج وقتًا وليس بطويل أعدك في هذا

-حسنا ان كنت تريدين نجاح خطتك ابتعدي عني وأنا سأنفذها.

******

مرت عدة أيام وتكررت حالات القتل الغريبة حتى امتلأت الجرائد وقنوات التلفاز بتلك الأخبار عن القاتل المخيف الذي يجوب أحياء القاهرة ليلًا كالأشباح ليقتل أبناء بعض العائلات، استنفر رجال الأمن والمباحث وكثرت دوريات الشرطة ليلًا علهم يلقون القبض على الجاني وكثر غياب محمود عن المنزل لانشغاله بتلك القضايا ونرجس تعود كعادتها تتصبب عرقًا وتبدأ

بالنواح والبكاء متمنية الموت على هذا العذاب الذي تورطت من خلاله بقتل هؤلاء المساكين الذين يزدادون يومًا بعد الآخر وذنبهم الوحيد أنهم من سلالة ست وحتى قتلها لهن أصبح حقيقيًا بوقت استيقاظها لم يعد مجرد حلم تحلم به.

أصبحت تعرف أنها تمسك الضحية وتسلخ جلدها أو تشوهها وتمزقها، وكانت تبحث مطولًا عن تلك التميمة في المنزل ولكن دون جدوى فأيقنت أن محمود يتركها في العمل أما ياسين فتعلق قلبه بنرجس ولم يعد يتصل برولا إلا نادرًا

ونرجس بالتالي شعرت بانجذابٍ شديد له مع أنها تعلم جيدًا أنه مجرد أداة بيدها لتحقيق أهداف حتب سخت كانت تصارع قلبها كلما نظرت إليه وتعرف أن حبه لها ليس سوى تعويذة لتسهيل مهمتها كانت تشعر أنها تهوي إلى الجحيم في كل يوم يمر لشناعة الجرائم التي تجبر على ارتكابها، وازداد ألمها بتذكر قذارة وخيانة والدتها فكانت تخرج الاوراق وتبدأ بالرسم من جديد حتى امتلئ صندوق كامل تخبأه تحت السرير بتلك الرسومات القبيحة

*****

كان جالسًا يستمع إلى الجرامافون بشرود حين دخل محمود إلى الصالة ونظر إليه

يا لهذا الجو الجميل الذي أعدته لمنزلي يا صاحبي

-عفوا!

-وشارد ايضا. قل لي بالله عليك بماذا تفكر الآن، أو بمن تفكر

قالها محمود بمكر وابتسامة زينت ثغره ليجيب ياسين بشوق ولهفة: أحبها يا محمود.

ونظر لعيني صديقه بثبات

ضحك محمود وهو يجلس على الأريكة ممسكا سيجاره وبدأ ينفث الدخان قائلا:

-اشتقت لرولا أيها المسكين!

بنفس الشرود الذي كلمه به قبل قليل أردف:

-بل نرجس، أحب نرجس يا صديقي.

صعقته الصدمة ونظر لياسين بتعجب

- أجننت. نرجس!

-أكون مجنونًا لو لم أتزوجها.

-قل لي أنك تمزح يا ياسين لم يمض على وجودك هنا بضعة أيام فقط!

-لا امزح. ولا أريد النقاش بهذا الموضوع أرجوك فقد اتخذت قراري وانتهى الأمر، سأتزوجها"

قالها وترك محمود حائرًا مرتبكًا بطريقة غير معهودة،

خرج من فوره إلى الحديقة ومنها وقف أمام غرفة نرجس وبدأ يطرق الباب حتى فتحت له فنظر لعينيها وقال: أحبك

هو نفسه صدمته جرأته وتسرعه بذلك الاعتراف ولكن الكلام بدأ يخرج تلقائيًا من فمه وكأن شخصا آخر يتكلم. ينظر لعينيها لقلادتها والكلمات تتدفق بتلقائية:

- أحببتك منذ أول مرة رأيتك فيها، كنتِ كحورية أسطورية خرجت لي من المحيط، كأميرة فرعونية،

كذهب ثمين عثرت عليه ولا أريد خسارته،

أتقبلين الزواج بي أميرتي؟

حدقت فيه نرجس بصدمة، حائرة من كلامه يبدو ان السحر قد أخذ مفعوله بسرعة،

هي فعلًا أعجبت بهذا الشاب رغم المدة القصيرة التي عرفته بها ولكنها لا تريد الحب بالخداع وهي تعرف ما سيحل بهذا المسكين.

لا تريد توريطه بالمستنقع القذر الذي تورطت فيه، عيناه تتراقصان أمامها وقلبها يخفق باضطراب وهو ينتظر أمام بابها، حسمت أمرها وقررت أن ترفضه وتكسر التمثال بأقرب وقت ولربما ستلقي بالتميمة المعلقة حول عنقها، وليكون ما يكون، بدأت تتلفت وهي تبحث بعينيها عن إيزيس وما إن اطمأنت على أنها ليست هنا وفتحت فمها لتتكلم شعرت بألمٍ شديد برأسها واغرورقت عيناها بالدموع.

فقال لها بجزع:

-نرجس ما بك؟ هل أنت بخير أجيبي.

رفعت رئسها وتكلمت بثبات وهي تبتسم وسط دموعها

-لا شيء أنا فرحة فقط. كنت انتظر منك هذا الكلام فأنا أحبك أيضا، أحبك ولا أريد العيش بدونك، لطالما حلمت بالفارس الذي سينتشلني من عذابي هذا وها قد جئت أنت

ولكن لن أجيبك الآن على مطلبك فها هو صديقك قادم أراك اليوم بعد منتصف الليل أمام البوابة لنتكلم براحة أكبر"

أغلقت الباب وجلست على السرير تجهش في البكاء حتى زال الألم وخرجت ايزيس من جسدها.

أما ياسين فقد نظر خلفه ليرى محمود يتقدم باتجاهه متجهمًا.

ياسين أريد ان نتحدث فلنخرج إلى مكان ما

-حسنا فلنخرج.

****

كانت ايزيس تجول الغرفة بعصبية وتنظر إلى نرجس وبدأت تصرخ بها:

تريدين الخيانة يا نرجس ها، كنت سترفضيه أيتها الماكرة، اعتقدتِ أني لا أستطيع معرفة ما يدور بخلدك من أفكار أيتها الغبية، لن أسمح لك بتدمير كل شيء لمجرد شعور تافه تشعرين به

اليوم ستقابلينه وستنفذين كل شيء وإلا لن أرحمك وعذابك سيضاعف مئات المرات فيكفي أن أخبر حتب سخت بما كنت ستفعلين وأنتي تعرفين مايعني أن اخبره، دعينا ننتهي من هذا الوضع فقد مللت حقًا.

أتعتقدين أني سعيدة جدًا بدون جسد! مجرد طيف غبي لا يستطيع التصرف بأي شيء سوى عندما أكون بداخلك، أتظنينني سعيدة!

وصمتت بعدها أما نرجس فبقيت جالسة على سريرها تضم ركبتيها إلى صدرها حتى جفت دموعها وانتظرت أن تدق ساعة منتصف الليل لتقوم بعملها الذي أجبرت على ممارسته.

******

جالسان في المقهى والصمت هو اللغة الوحيدة بينهما كل منهما شارد بأفكاره فمحمود بات يشك بأن هذا الشخص الذي أمامه هو صديقة ياسين القوي الذكي العاقل المتزن، شعر أن هنالك خطبًا ما فهكذا فجأة قرر أنه يحب نرجس وسيتزوجها! كان يشعر بغصةٍ بحلقه منذ معرفته بالخبر ولا يعرف سببها لكنه كان كذلك متأكدًا من وجود سرٍ في الموضوع وسيكتشفه بأسرع وقت، قطع عليه شروده صوت ياسين وهو يسأله:

-أحضرتني إلى هنا لتصمت؟

أطلق محمود زفيرًا ثم سأله:

-ياسين ما الذي قلته قبل قليل لنرجس! لم أفهم ما الذي جرى لك؟

-كنت تتجسس علي يا سيادة المحقق؟

-طبعاً لا ولكنك صديقي وعندما أرى انك ستتورط بأمرٍ خاطئ وجب علي تحذيرك.

-قلت لك سابقًا أن هذا الموضوع ليس قابلًا للنقاش لقد قررت وهذه حياتي، أنت صديقي وأقدر خوفك علي ولكن اعذرني فليس الأمر بيدي إنه الحب يا محمود.الحب. ".

-ولكنك متزوج وتحب رولا ما الذي جرى لعقلك! وما هي تلك الدوافع التي قادتك لتحب خادمة وابنة مجرمة كذلك. أيعجبك هذا النسب أنسيت أنك أشهر طبيب جراحة في ألمانيا نهايتك تكون على يد فتاة كهذه أنا متأكد أنها أغوتك بطريقة ما!

هنا صرخ به ياسين انفعالًا:

- كفاك تجريحًا بكلماتك، تلك المسكينة ستغويني! وبما ها. إنها حتى تفاجئت عندما طلبت يدها للزواج، كما أنها تعمل عملًا شريفًا لتعيل نفسها فما ذنبها إن كان الزمن قد جار عليها ووضعها بهذه الظروف الصعبة أهي اختارت أن تكون أمها مجرمة؟ .

-إسمع أنا غير مقتنع ابدًا ولكن بالنهاية هذا قرارك أرجوك، فكر مليًا قبل الإقدام على تلك الخطوة وما أنا إلا بناصح لك.

فأجابه بتململ: شكرًا على نصيحتك والآن هلا نعود إلى المنزل فأنا تعب حقًا

فسأله محمود بقلق: إذن ستقابلها الليلة؟ .

ليجيبه ياسين بثقة:

-بالتأكيد.

******

انتصف الليل وها هو ياسين بكامل أناقته بعد أن أغدق نفسه بعطره الفرنسي الفاخر يتوجه إلى البوابة الحديدية، انتهت إيزيس من وضع اللمسات الأخيرة لتبتسم ابتسامة مشرقة بعد أن غيرت نرجس تمامًا وكادت أن تخطو خارجًا إلا ان الباب قد طُرق بعنف، أيقنت أنه ياسين وركضت لتفتح له، تلاشت الابتسامة حينما كان محمود يقف أمامها، بجبين مقطب وحاجبين سيتلاصقان لشدة انزاعجه،

-أهلا محمود بك ،أي خدمة ؟

تساءلت بقلق لتنفرج شفتا محمود و تنطبقان مراتٍ عديدة انبهاراً لجمالها الذي انبثق فجأة مما زاد قلبه لهيباً ، ثم قال بنبرة غاضبة :

-أنا جائع .

اكتست الصدمة ملامح وجهها قبل أن تتمتم بارتباك: الآن سيدي، تريد أن أحضر لك طعامًا؟

-هل عندك مانع؟

-لا أبدًا، دقائق وسيكون طعامك جاهزًا ".

قالتها ثم انتشلت حقيبة يدها وأغلقت باب غرفتها متوجهة ناحية الفيلا وهو يسير خلفها برضا كبير،

دخلت المطبخ وبدأت بإعداد طعام العشاء بسرعة وهي ترى ياسين يقف منتظرًا من خلف نافذة المطبخ، ابتسمت لرؤياه على هذه الحال أما إيزيس فكانت ترمقها من الزاوية بغضب، وتتوعد أن تلقن محمود درسًا لن ينساه أبدًا.

تفصل سيدي طعامك جاهزا "

قالتها لمحمود الذي نهض من على الأريكة بتململ وتبعها ناحية المطبخ، كان كل شيء جاهزا فعلًا وبسرعةٍ عجيبة، جلس أمام طاولة الطعام قائلًا: أعدي لي الشاي.

فوضعت الإبريق أمامه مباشرة قائلة بانتصار:

-الشاي جاهز "

رمقها بنظرة جانبية غاضبة، ثم شرع بالتهام طعامه وكأنه لم يأكل منذ ثلاث ساعات فقط.

ساذهب الآن وداعا" قالتها له وهربت فورًا خشية أن يطلب أي مطلب آخر،

دقائق شعر فيها ياسين بالملل وهو ما يزال بانتظارها، حتى لمحها تقترب مرتدية فستانًا أسود ضيق وطويل يغطي جسدها وشعرها الطويل يتماوج ليضفي عليها سحرًا خاصًا غريبًا ولكنه جميل، صرخ قلبه بعنف عندما توقفت أمامه بقامتها الرشيقة وهي تبتسم ابتسامتها العذبة، عيناها تكتحلان بكحل أسود وشفتاها مكتنزتان ذات بريق وردي وسلبت له ما تبقى من عقل.

-آسفة لتأخري لكن محمود بك كان جائعًا ".

زم شفتيه امتعاضا من تصرفات محمود الصبيانية وأجابها: لا بأس، قريبًا جدًا ستتخلصين من تطفله وتطفل غيره.

بهذه الأثناء كان محمود ينظر إليهما من خلف زجاج النافذة بضيقٍ كبير لا يفقه له سببًا، وهو يلوك قطعة جبن، لم يكن جائعًا لكنه في كل مرة يغضب يتناول الطعام، يملئ معدته ثم يرتمى على الأريكة ليشاهد فيلم رعب أو يستمع لأغنية صاخبة ليتبدد غضبه،

كانت إيزيس ما تزال ترمقه بذات الغضب، وهي متأكدة من أنه سيعكر صفو مخططاتها،

ما إن رآهما يغادران، عاد إلى طاولة الطعام وأمسك كأس الشاي ليرتشف منه، فجأة وأمام مرآى منه، ارتفع الإبريق قليلًا وانسكب على حجره، توسعت حدقتا عيناه وهب يصرخ ويولول كالنساء.

بسم اللهالرحمن الرحيم !! بسم الله الرحم الرحيم

وهرع ناحية الحمام ليغسل مكان الحرق.

ضحكت إيزيس بانتصار وغادرت المكان ، فلن تترك نرجس تهدم كل شيء تقوم به ،

****

(8)

صمت قليلًا وهما يمشيان خارجًا تحت ضوء القمر ثم قال لها: هنالك مطعم جميل جدًا قريب من هنا ما رأيك أن نذهب إليه

-لا سآخذك إلى مكانٍ أجمل.

-حسنًا موافق.

-أوتوافق دون أن تعرف إلى أين سأخذك! افرض أني سأختطفك.

-لو قلتِ لي سأخذك إلى قبرك لن أتردد لحظة واحدة في الذهاب فيكفي أنكِ معي

-لم تبتعد بتفكيرك كثيرًا.

-عفوًا.

-لا عليك هيا بنا.

كانت تسير معه وهي تكاد تختنق، في كل خطوة يخطونها تشعر أنها تقوده إلى الجحيم، احتضن يها يدها وضغط عليها هامسًا:

بالمناسبة تبدين جميلة جدًا اليوم. حقًا لا اعلم ما الذي فعلته بي أي سحر تحتويه هاتان العينان

نظرت له ولتميمتها المعلقة ولم تجاوب، اكتفت بابتسامة عذبة حتى وصلا إلى بوابة المقبرة وقفت أمامها بكل شموخ وقالت له ادخل.

أطلق ضحكة خافتة تخالطها الصدمة والذهول نظر لها ثم تبعها بصمت إلى الداخل ظنا منه أنها تسلك طريقًا مختصرا بقطعهما المقبرة فطاوعها باستسلام، كانت تسير بين المقابر بكل ثقة وهو يسير خلفها ينظر حوله والقمر يعكس ظلال الأشجار على القبور من حوله ليضفي مزيدًا من الرهبة على المكان، كان قلبه يرتجف من الداخل ليس خوفًا فهو يمضي معظم وقته بين الأموات في تشريح جثثهم ولكن قدسية هذا المكان وتفكيره بان نهاية كل شيء تكمن هنا وقفت أخيرًا أمام التابوت الكبير استدارت لتواجهه وقالت:

-أمازلت مصرًّا أنك تحبني يا ياسين.

-بل أعشقك

-ألستَ خائفًا

-ومم سأخاف وانا معك؟

-حبي لك سيودي بك إلى الجحيم ولن تتحرر إذن أبدًا.

-حتى إن كان حبك ثمنه حياتي فلن أتراجع.

ابتسمت مجيبة: إذن أهلًا بك في عالمي.

وسحبت المقبض الحديدي ليتزحزح غطاء القبر ويظهر الدرج نزلت وقالت له اتبعني "

صُدِمَ في بادئ الأمر ولكنه نزل ورائها وهو يزداد حبًا وتعلقًا بتلك الجميلة مع كل درجة ينزلها كان حبها يرتفع في قلبه الذي ازدادت ضرباته من هذا المكان وهذه الفتاة الغريبة هو نفسه شعر أن هنالك خطبًا ما شيءٌ صغيرٌ بعقله يخبره أن الدخول خطر، صوت داخلي يصرخ به تراجع. عد أدراجك. ولكنه لم يبالي أخرس صوت عقله وتناساه فحبيبة قلبه هنا وهذا يكفيه.

وصلا أخيرًا إلى القاعة الحجرية، كانت ايزيس واقفة أمام المهد وتهزه وهي تبتسم لنرجس بمكر أما ياسين فكان يتأمل هذه القاعة بذهول وتجول فيها مقتربًا من البركة الدموية ليرى تلك الوجوه الشيطانية ذات العيون المضاءة ينبثق من أفواهها سائل أحمر وضع يده تحت فم أحداها لتغرق أصابعه بهذا السائل وعرفه ببساطة، استدار ليكلم نرجس ويده تقطر دمًا.

-ماهذا المكان، أين نحن؟ وهذه البركة تنبعث منها الدماء!

-أنت خائف؟

- معك لا أخاف من شيءٍ ولكن أريد أن أعرف

-وهذا ما أرجوه. ستعرف كل شيء في وقته.

تقم بخطى بطيئة ناحية ذلك المهد، اقترب منه ونظر لما بداخله ليجمد الدم في عروقه، تراجع إلى الوراء بصدمة، طفل بهذا المكان!

فتقدمت منه نرجس وربتت على كتفه مهدئة من روعه، ستعرف كل شيء، لا تقلق "

وبعدها نظرت نرجس إلى إيزيس بانكسار وقالت لها: . نفذت ما طلبتموه مني والآن ما العمل.

-فلننتظر حتب سخت.

أدار ياسين رأسه ينظر حوله وسألها:

مع من تتحدثين؟ لا أرى أحدًا هنا؟

-لا عليكَ أنت، لا أتحدث مع أحد.

لحظات وانفرج الحائط الحجري المقابل لهما عن فتحة تؤدي إلى مكان آخر مشت إيزيس باتجاهها وطلبت من نرجس أن تلحق بها هي وياسين، أمسكت نرجس يد ياسين ودخلا، شهقت من هول المنظر وياسين بدوره نظر إلى نرجس مصدومًا، لم يستوعب الموضوع في بادئ الأمر حتى اكتملت الصورة أمامه وأدرك أن ما يراه حقيقيا.

كان الجو باردًا جدًا في الداخل وعشرات الرجال ذوو بنية عضلية قوية ترقد أجسادهم على مصاطب حجرية متموزعة بانتظام في القاعة وبعضهم معلق على خطاطيف مثبتة على الحائط وكأنهم مجرد خراف بانتظار السلخ! تخرج من خلفهم عبر أنابيب أدخنة كالثلج لتبقي أجسادهم

باردة وفي الحائط المقابل خزانة خشبية كبيرة مغلقة بجانبها ستارٌ أحمر يخفي ممرًا لغرفة أخرى وفي آخر القاعة يقف حتب سخت بوجهٍ جامد كالصخر خلفه حائطٌ زجاجي لغرفة تحتوي سرير ومعدات طبية

-أهلًا بنرجس وكلبها الأليف. كيف حالك ياسين.

فالها حتب سخت مكشرًا عن ابتسامةٍ شيطانيةٍ ليحدق به ياسين بفزع.

-من. من أنت؟

تكلم ياسين وهو ينظر إلى تلك الأجساد المنتشرة في المكان والى حتب سخت ذو الوجه المريع وكأنه فعلًا شيطانٌ رجيم، تقدم نحوهما وربت على كتف نرجس التي اشمأزت منه وابتعدت قائلة:

--نفذت طلبك. هل انتهت مهمتي الآن؟

-أين التميمة؟

-لم استطع ايجادها يبدو أن محمود يضعها في مكتبه.

-حسنًا سنجد طريقة للحصول عليها لاحقا.

وابتسم بمكر مستطردا

-ما رأيك بهم؟

-من هؤلاء. هل هم ميتون

-لا نائمين. هديتي لايزيس

-والمعلقين على الخطاطيف؟

-هؤلاء لا تشغلي بالك بهم.

والتفت إلى ايزيس قائلًا بفخر:

جيش بقيادة الملك حورس للإطاحة بالخائن ست ما رأيك يا عزيزتي ايزيس بهذه المفاجئة لتعلمي كم أني خادم مطيع "

شف ثغر ايزيس عن ابتسامة عريضة وتجولت بين المصاطب التي يرقد عليها الرجال والفرحة تغمرها. فقد اقترب النصر حقًا.

-شكرا لك يا حتب سخت انها أعظم هدية أتلقاها في حياتي.

-مهلًا لحظة وياسين ما دوره بكل تلك المسألة لم أفهم إلى الآن؟

كانت هذه من نرجس التي بقيت ممسكة يد ياسين تشد عليها خائفةً من أن يصيبه أي مكروه فقد شعرت بمسؤوليةٍ كبيرةٍ تجاهه فلا ذنب له أن يتورط بعملٍ مريع كما تورطت هي. وهو بدوه يحاول فهم ما يجري دون جدوى فوقف كالأبله ينقل نظره بين حتب سخت ونرجس طبعًا لم يستطع رؤية ايزيس، كان ينتظر فقط ما تأمره به حبيبته الصغيرة.

تقدم حتب سخت نحو الخزانة الكبيرة فتحها فظهرت مجموعة أدوات جراحية ومعدات طبية

-هذا هو عمله

-؟ عفوا يااا سيد حتب - إن لم أكن مخطئًا

ما الذي سأفعله بالتحديد وكيف عرفت أني طبيب؟

قهقه حتب سخت ساخرًا:

-سؤال غبي من طبيب، كفًا تهريجًا ونفذ ما سأقوله لك:

اما أنتِ يانرجس فلم انسك، هنالك مفاجئة صغيرة تنتظرك وراء ذلك الستار هيا ادخلي.

ترددت نرجس قليلًا وجال بصرها بين الستار وياسين حتى زفر حتب سخت صائحًا:

لا تقلقي لن نأكل كلبك الأليف هذا نريده بعملٍ هام،

حسمت أمرها أومأت لياسين وقالت له نفذ كل ما يطلبه منك ثم تقدمت نحو الستار الأحمر ببطئ ورفعته.

*****

ارتدى ياسين معطفا أبيض وقفازات مطاطية، تناول معداته واتجه نحو أحد الرجال المعلقين على الخطاطيف، قرأ ورقة معلقة على صدره ثم أنزله على سرير فارغ ووضعه عليه.

كان حورس الصغير ينام بهدوءٍ بداخل مهدٍ كبير يحيط به صندوق زجاجي وعدة أنابيب متصلة بفمه وساعديه. يغذيها سائل أسود بالإضافة لعدة أبخرة ملونة تخرج من بعض الأنابيب لتسبح بداخل الصندوق.

ووالدته تنظر له بحبٍ كبير تتمنى أن يكبر بالسرعة المطلوبة، ليحقق انتقامها الذي لطالما تمنته.

مزق ياسين ثياب الرجل وفحصه جيدًا حدد موعد وفاته. أو بالأدق موعد مقتله الذي لم يتعدى البضع ساعات فأعضاء جسده مازالت بحالة جيدة محفوظة في هذا الجو البارد، ثم أمسك مشرطًا جراحيًا محدثًا شقًا بمنتصف الصدر أخرج القلب عاينه جيدًا ووضعة بإناء يحوي مادة الفورمالين للحفاظ عليه ثم اقفل الإناء ووضعه على الرف المقابل.

بعد أن انتهى حمل الرجل وألقاه بصندوق كبير بزاوية الغرفة. ألقاه بصندوق قمامة!

****

أزاحت نرجس الستار وخطت الى الداخل. كانت غرفة ضيقةٌ نسبيًا وفارغة إلا من كرسيٍ خشبي في منتصفها وعليها يجلس رجلٌ مكبلٌ بالأصفاد وجهه يقابل الحائط تنعكس عليه أضواء خافته من نافذة حديديةٍ عالية في الحائط. خطت تجاهه بهدوء واضطراب يعلو سحنتها لتتبين أكثر أن الرجل كان أبيض الشعر هزيل الجسد التفت حوله لتقابله وحدقت فيه.

ثوان حتى رفع الرجلُ رأسه وبادلها النظرات بدوره

كان عجوزًا ملأت التجاعيد وجهه وشعره الأبيض يغطي نصف جبهته ارتجفت يداها وهي تبعد خصلات شعره من على جبهته لتتبينه أكثر، دققت بتلك العينان الغائرتان وذلك الوجه المجعد الذي لن تنساه ابدًا مهما أخفته تجاعيد السنين، وعادت بها ذاكرتها إلى الوراء.

لأكثر من إحدى عشر عامًا مضى. لذكرى الستار.

إنه هو. وائل!

****

((((-حبيبيتي أخيرًا قضي الأمر. ستكونين لي وبدون أية مشاكل.))))

****

تمالكت أعصابها أمسكت حنجرتها عن الصراخ وهي تتقابل وجهًا لوجهٍ مع قاتل ابيها، انسابت دمعة دافئة على خدها. لعبت بأناملها الصغيرة بخصلات شعره الأبيض. أنت هو. دون أدنى شك، ثم احكمت قبضتها على شعره وشدته بعنفٍ إلى الوراء، صرخ الرجل متألما وخرج صوته متحشرجا بسبب الهلع الذي دب بأوصاله

****

(وهناك بعيدا عن الطريق الرئيسي طلقة صغيرة في الرأس أنهت كل شيء.).

****

اقتربت من وجهه أكثر وهي تشد خصلاته للوراء وبعينان تشتعلان غضبًا صاحت:

-لكم انتظرت أن أراك.

تلعثم الرجل بكلماته وهتف بخوف: من أنتِ وأين أنا؟

-عارٌ عليك أن تنسى من تسببت في دمارها وإضاعة مستقبلها أيها القذر.

-اهدئي يا ابنتِ هناك سوء فهم. أنا لا أعرفك حتى.

كان العجوز يرتجف هلعًا ونرجس تلتف حول كرسيه والذكريات تهاجمها دون رحمة، شعرت بأنها قويةٌ جدًا كإعصارٍ مستعدٍ ان يقتلع كل شيء في طريقه.

-سوء فهم أيها الشيطان دمرت حياتي خنت ابي وقتلته تآمرت مع أمي وخنتماه. قتلتماه سويًا وشردتماني. وتقول لي سوء فهم؟ أنسيت صديق عمرك

اتسعت عيناه من هول الصدمة وتذكر كل ما جنته يداه في الماضي الذي أراد أن يمحيه من حياته للأبد تذكر بشاعة الجريمة التي ارتكبها والتي لم يصدق كيف نفد منها بأعجوبة، نظر لها بتوسلٍ قائلا:

أ أنت الصغيرة ابنة (روان). يا الهي.

-بل انا ابنة (عمر)ايها الحقير (روان)ماتت منذ اللحظة التي رأيتكما فيها معًا، ماتت بداخلي ومحيت آثارها الرخيصة من حياتي كما سحقت على الطريق.

صمتت هنيهة ثم اغرورقت عيناها بدموع قهر وهي تتساءل:

-كيف لك ان تفعل هذا بصديق عمرك! اي وضاعة كنت فيها، أتقتله لتحظى بزوجته.

وصفعته بكل قوتها، تأوه ألما وركلت الكرسي ليقع بكرسيه على الأرض ودعست بقدمها على يده.

صرخ وبكى وبدأ يتوسل من جديد

- ارحميني أنا عجوز لا أقوى على التحمل. أرجوكِ يا ابنتي اطفالي صغار. إنهم صغار لا تؤذيني وأنا مستعد لتعويضك بأي مبلغ تريدين أو بأي شيء ترغبين به خذي كل ما أملك واتركيني.

لكنها صرخت باكية وبدأت تركله بقوة صائحة:

-بماذا ستعوضني هاا؟ ستعوضني عن أبي.

ام عن سنين الحرمان والعذاب التي عشتها في الميتم بسببك

ستعوضني عن نظرات الناس التي كانت تنهش لحمي بأني ابنة قاتلة وزانيةٍ رخيصة أو عن نظرات الرجال القذرة حين خرجت ابحث عن عمل لأعيل به نفسي.

عن ماذا ستعوضني أجبني.

اجب أيها الجرذ الوضيع. أتعرف لما لم اقل للشرطة انك القاتل أتعرف لما ألصقت التهمة كلها بأمي

و ابقيت حبيبها مجهول الهوية

لأني انتظرت هذه اللحظة منذ مدة طويلة. طويلةٍ جدًا.

انتظرت ان أراك وانظر إليك وانت تتعذب وتتوسل هكذا، أردتك أن تتمنى الموت وسأجعلك تتمناه أعدك بهذا "

لم تعد تقوى على التحمل أكثر، تركته ملقى أرضًا، بصقت عليه وغادرت. خرجت إلى القاعة الكبيرة وجلست على حافة نافورة الدماء مررت يديها تحت السائل الأحمر وبدأت تحركه في البركة وتراقب انسيابه من بين أصابعها بعد ان اكتسى الجمود تقاسيم هذا الوجه الاسمر.

****

ذهب ياسين لانتقاء رجل آخر قرأ الملحوظة وحمله كذلك فحصه وأخرج اقوى عضو فيه فكانت رئتاه بحالة جيدة جدًا فهو لا يدخن أبدًا ويبدو أنه رياضي من تناسق جسده وعضلاته البارزة.

حمل الرئتين برفق وحفظهما كما حفظ القلب من قبل والقى بجثة الرجل في الصندوق

كان يعمل كالآلة ولا يستريح ولا ينوي على شيءٍ سوى الانتهاء من هذا العمل الذي كلفه به حتب سخت ليرى بعدها حبيبته الصغيرة فهذا كل ما يرجوه الآن

وتكرر الأمر مع الثالث بإخراجه الكبد حتى تعب أخيرًا وأقبلت الشمس على البزوغ، ظهر أمامه حتب سخت فجأة قائلًا:

-انتهى عملك اليوم، غدًا في منتصف الليل موعدنا لتكمل مابدأته انصرف الآن"

ترك كل شيء خلفه بلا مبالاة لهذا الشيطان ذو السحنة المريعة، شطف يديه ووجهه وذهب يبحث نرجس فوجدها جالسة على حافة البركة تبكي. لمعت عيناه من قوة السحر المحيط بها والذي يزداد كلما رآها، وتقدم نحوها وجلس القرفصاء أمامها، رفع رأسها بيديه.

لا بأس يا صغيرتي لا تبكِ. كل شيءٍ سيكون بخير "

شعرت بحرارة يديه، أمسكتهما ونظرت له بعينان ملؤهما الدموع وقالت:

اه لو تعرف صغيرتك على حقيقتها لو تعرف بماذا ورطتك لبصقت علي.

- لا بأس عليكِ أعدك. أن كل شيء سيكون على ما يرام،

****

لم يغمض لمحمود جفن، وهاهو ينظر عبر نافدته بين حينٍ وآخر وبقلبه انقباضة قوية، وهاهي الشمس قد أشرفت على البزوغ ولم يعودا بعد!

شعورٌ مربك سيطر على تفكيره لم يستطع كبحه، ووصلا أخيرًا، لكن نرجس لم تكن طبيعية أبدًا، ركض من فوره وخرج ليفتح لياسين الباب وتعلقت عينه على نرجس الباكية، كان منظرها مريعًا جدًا، فسرح بفكره بعيدًا، لا بد وأن ياسين آذاها، سيطر هذا التفكير على عقله عندما تقدم ياسين واجمًا هو الآخر،

-ماذا هناك، لما تأخرت؟ وما بها نرجس؟

لكن ياسين حرك رأسه واجتازه صاعدًا إلى غرفته مما زاد من شكوكه، فهرع من فوره ناحية غرفة نرجس وطرق بابها بقوة.

فتحت له بوهنٍ شديد، قابلته بعيون ذابلة متورمة من شدة البكاء فصرخ انفعالًا:

ما الذي فعله بك ذلك الوغد أجيبي " الى أين قام بأخذك ليلًا؟

تغيرت ملامحها فجأة وهذه المرة كانت ايزيس من أجابت على لسان نرجس:

لم يفعل لي أي شيء، اخبرني أنه متزوج.

-نرجس أنت تعرفين انه كذلك!

-انه يحب زوجته اعتقده لا يحبها.

تطلع فيها بشك كبير فعالجته فورًا:

-أقسم لك أن هذا هو السبب.

حدجها بنظرة طويلة وتنهد ارتياحًا قبل أن يغادر المكان ليهنأ ببضع ساعات من النوم بعد أن تلفت أعصابه.

بعد عدة ساعات كان محمود جالسٌ في مكتبه يتأمل هذه التميمة الغريبة وعلاقتها بحوادث القتل التي تحدث في القاهرة بالإضافة إلى أوراق الألغاز التي مازال يراها فوق الجثث وتلك العلامات الفرعونية.

ما الذي يريده القاتل من كل تلك الأشياء؟

أيريد ان يكون فريدًا من نوعه ويبتكر طريقة جديدة لاكتساب الشهرة، يبدو أنه يضع بصمته الخاصة لتميزه عن غيره، القتل المرتبط بالسحر! يا له من وغد.

كانت التساؤلات تتضارب في عقله وعقل غيره من المحققين الذين استلمو معه هذه القضايا.

نظر إلى ساعته التي تجاوزت الواحدة ظهرًا وقرر الاطمئنان على ياسين فلم يره قبل خروجه إلى العمل. اتصل بالمنزل مطولًا حتى أجابت نرجس فتكلم معها بكل برود، وضع التميمة بشكل تلقائي في جيب بنطاله وطلب من نرجس مقابلته في المقهى المتواجد بأول الشارع الذي يقطن فيه وما هي إلا ساعة وكانا يجلسان في المقهى

كانت تجلس محنية رأسها وكأنها تعترف بأنها ارتكبت خطأً جسيمًا وهو ينظر اليها ويتفحص حركاتها. لم يعرف أيشفق عليها أم يحملها ذنب محبة صديقه المفاجئة لها. اضطربت أفكاره وارتجفت شفتاه وبقي صامتًا حتى احتلت جسدها ايزيس وابتدأت هي بالحديث

سيدي أنا اعرف ما الذي يزعجك فأنت رجلٌ عقلاني وترى أن فتاة مثلي لا يحق لها ان تحلم بشاب كياسين طبيب عني ومشهور

-نرجس. ليست تلك مشكلتي فحالتك المادية ولا العائلية هي ما انا قلق منه. أريد ان اعرف كيف

كيف لكِ بهذه السرعة أن توقعيه بحبك وتقنعيه بالزواج منك بهذه الطريقة أريد أن افهم فقط بت تعرفين انه متزوج كذلك ويحب زوجته، ستدمرين حياته، كما انك صغيرةٌ جدًا والمستقبل أمامك مازال طويلًا، كما انه يكبرك بأكثر من أربعة عشر عامًا هنالك عدة أسباب من رأيي لمنع هذه العلاقة فأنتما لستما مناسبان لبعضكما صدقيني.

رفعت رأسها وحدقت فيه بإصرار مجيبة:

-اقدر خوفك على صديقك وحرصك عليه ولكنه الحب إن كنت قد سمعت عنه من قبل، عندما نشعر به تتلاشى العقبات كلها مهما كانت كبيرة، ذلك الشعور لا يستطيع أحد إخفائه وعن كنت يا سيدي تريدني أن أترك العمل في منزلك فأنا جاهزة ومن الغد إن أردت.

-لا طبعًا لا اريدك ان تتركي العمل، لكن على ما يبدو أن عملي أجبرني أن أنسى هذه الكلمة وامحيها من قاموسي ولكن أطالبك مرة أخرى بأن تفكري جيدًا، فلا أظنها إلا نزوةٌ عابرة، انا رجلٌ واعرف جيدًا نزوات الرجال. خاصةً ياسين. يحب مصر ورآى أمامه فجأةً الجمال المصري النقي. لربما شعرَ بأنه يريد تغيير طبيعة حياته الأوروبية ليس إلا.

******

(9)

انتصف الليل وشرع ياسين بإكمال عمله الذي ابتدأه الليلة الماضية ولكن استوقفه شكل الطفل، دقق النظر أكثر من خلف الزجاج ليرى أن حجمه قد كبر!

صعقته الصدمة وظن أن هنالك من استبدله بآخر صرخ ينادي نرجس التي ركضت باتجاهه لتراه هي الأخرى لم تستطع معرفة الأمر، لمحت ايزيس تتقدم نحو طفلها وتبتسم له وهو نائم بأمان، وبدأت تتكلم

-انه حورس يانرجس لاتقلقي.

-ولكن. كيف! وما تلك الأشياء.

-ذلك السائل المغذي وتلك الأبخرة تعمل على تسريع نموه البدني فأنا لايمكن لي أن أنتظره في زمانكم عشرون عاماً على الأقل ليكبر إنه وقتٌ طويلٌ كما تعلمين ومن خلال هذه الخلطات السحرية سينمو طفلي كل يوم مقدار عام أو عامين ليصبح قادرًا على المواجهة.

-ولكن هل سيكون قادرًا على التفاعل مع من حوله دون اية مشاكل. كيف سيتعلم النطق والحركة! وعقله كيف سينمو؟

صوتٌ من خلفهما تكلم.

كل شخص من هؤلاء الرجال المعلقين على الحائط هو عالمٌ كبير أو باحث دكتور أو مهندس ومنهم الرياضي القوي. فيكفي أن نخرج عقل كل واحد منهم ونزرع خلاياه بدماغ هذا الصغير ليكتسب العلم والمعرفة التي ستؤهله لمحاربة ست والقدرة والرجاحة على حكم مصر مستقبلاً وأن نخرج اقوى عضو في جسد هؤلاء كالقلب أوالكبد اوالمعدة اي كل عضو يعمل بكفائة عالية لنغرس محلوله بجسد الصغير ليصبح ذو بنية لاتضاهيه فيها بنية أي رجلٍ اخر.

نظر ياسين لحتب سخت بذهول وقد فهم أخيرًا سبب توكيله بهذه المهمة الغريبة، نظر خلفه إلى علب الاعضاء التي انتزعها البارحة ولكنها كانت فارغة. فهم حتب نظرته فأردف مكملًا:

لقد أستخدمتهم لأمد الطفل بالاعضاء الازمة أنت ماعليك سوى إكمال عملك والباقي أنا متكفلٌ فيه

باشر ياسين عمله مجددًا ونرجس تنظر له بأسى فهو الآن منوم بسحر ولايعلم شيئًا عن بشاعة العمل الذي يقوم به فببساطة أصبح شريك لهم في قتل هؤلاء المساكين وانتزاع أعضائهم.

تنهدت وغادرت تاركة إياه مع الموتى وعادت لتجلس على حافة بركة الدماء تتنازعها أفكار شيطانية بأن تنهي كل شيء وتقتل وائل:

وقفت أمامها ايزيس بكل ثقة وبدأت توسوس لها كشيطان رجيم ونجحت في ذلك.

وهاهي نرجس الآن أمام الستار الأحمر. رفعته ودخلت لتراه وقد انهكه الخوف والتعب لمحت بقايا طعام ملقى على الأرض تشاركه بها بضع جرذان شرهة.

-يبدو ان هنالك من يهتم لأمرك أيها الحقير.

-نرجس. أرجوك ارحمي.

-كفى ما جئت لأسمع منك هذا الكلام. والآن يا سيد وائل، كيف تريد أن تموت. . صعقًا بالكهرباء، حرقًا أم أسلخ جلدك و أقطع أوصالك أمام ناظريك ؟

سأكون أكرم منك وسأسمح لك باختيار طريقة موتك.

بالرغم من أنك لم تعطي لوالدي هذه الفرصة لكي يقرر.

-جحظت عيناه من هول تلك الكلمات وبدء بالنحيب، هي الآن تشعر انها تزداد قوة لضعفه شيء ما بداخلها بدأ ينمو.

قلبها البريء الطيب لم يعد كذلك وروحها اكتست بالسواد، جالت بنظراتها في المكان حتى رأت سيخًا صدئا مدبب الرأس، التقطته واتجهت إلى ذلك العجوز الملقى في زاوية الغرفة انحنت نظرت في عينيه فرأت خيانة والدتها معه

تخيلت والدها وتذكرت صورته وهو ملقى على الطريق المقطوع ودمه يغرق جبهته دمعت عيناها و. رأت والدتها مدهوسة بتلك الشاحنة ومشوهة الوجه تذكرت سمر وتعذيبها الشديد لها في الميتم. سالت الدموع عندما تذكرت نظرات الرجال لها عند طلبها العمل لتعيل نفسها وتتابعت تلك الصور أمام ناظريها. صرخت وغرست السيخ بقوة في ساقه ليصدر صرخة ترتجف لها حتى قلوب الموتى، ضحكت لألمه وعاودت غرسه وهو يتأوه ألما

مع صرخاته وتوسلاته تزداد ضحكاتها بنشوة وكأنه روح الشر وتريد إزالتها ومحوها من العالم لتطهيره.

دمائه التي تنزف خالطت دموعها التي تنسكب بغزارة على وجنتيها.

انتبهت أخيرًا لتلك الجروح القوية التي أحدثتها بجسده المتهالك تراجعت إلى الوراء ورمت ذلك السيخ بقرف عندما امتلأت يداها بدمائه، وكأنها صحت فجأةً من غيبوبتها.

بدأت تشهق وتبكِ كانت يداها مخضبتان بالدماء وملوثتان بجريمة بشعة أدركت ذلك ولكنها لم تستطع إيقاف أفكارها الشيطانية من التدفق وكأنها عقدت اتفاقًا مع الشيطان نفسه لإرسال تلك الافكار إلى مخيلتها، نظرت إلى يديها مجددًا وانكبت على الرجل تضربه وتركله بكل مااوتيت من قوة حاصرت رقبته وبدأت تعتصرها وهو يشهق محاولًا الحصول على الهواء وايزيس واقفة أمام الباب تبتسم وعيناها تلمعان بقوة بعد أن مدت نرجس بتلك الذكريات وغادرت جسدها لتتكفل بالباقي.

سمع ياسين بكاء نرجس وصراخ ذلك الرجل فركض باتجاه حبيبته التي كادت أن تقتل العجوز سحبها خارجًا وهي بحالة هستيرية حتى وصلا إلى الصالة الكبيرة اجلسها وجلس على الأرض ضمها اليه بقوة وهي مازالت تركل وتصرخ دقائق وهو يمسح على جبهتها بيديه حتى صمتت أخيرًا صمتت بعد أن أفرغت شحنة كانت مكبوتتة بداخلها منذ سنوات طويلة نظرت له فزعة وهي تصرخ.

انا قاتلة ياسين أنا قاتلة

-شش اهدئي، لست قاتلة حبيبتي اهدئي.

نظرت له بعين الشفقة وصرخت فيه: أنت لا تعلم شيئاً أنت لا تفهم ما الذي تقوم به.

-افهم انك حبيبتي وهذا يكفيني وعندما تكونين جاهزة أنا مستعد لسماعك ولمساعدتك

نظرت له مطولًا، وقد قررت ان تحكي، ستحكي له كل شيء عن والدتها والميتم الذي نشأت فيه وايزيس. والرجال الذين قتلتهم، ستحكي له قصتها كاملة فهو الآن لن يكرهها مهما سمع عن بشاعة ما اقترفته يداها فهو مسحورٌ بكافة الأحوال.

وتكلمت، كانت تروي له حكايتها لترتاح قليلًا. وكان يستمع اليها، ينصت باهتمام ويصدقها بكل حرف تقوله حتى ولو كان مامرت به بعيدٌ عن العقل أو المنطق.

انتهت من حديثها، نظر لها مطولا ثم ضمها بقوة

إليه قائلًا:

في كل يوم يزداد عشقي لك أيتها الصغيرة" لتنظر له نرجس نظرة طويلة ثم تضحك بقوةٍ على غباء ما آل إليه وضعه فلم يفهم أو يستوعب أي شيءٍ قد حدثته عنه.

*****

في هذه الأثناء عاد محمود من عمله منهك القوى نظر إلى الساعة التي جاوزت الثالثة صباحًا القى ملفًا كان بيده على الطاولة في الصالة وذهب ليرى صديقه طرق باب غرفته عدة مرات ولكن مامن مجيب ففتحها ليرى انها خاوية، خطى إلى الداخل ونادى عليه ظنًا منه أنه في الحمام ولكن لم يكن كذلك التفت ليخرج من الغرفة فوقعت عيناه على ذلك التمثال اقترب منه وحمله مشمئزا من منظره.

ما هذا القرف! انه شيطاني الهيئة " قالها وهمَّ بإعادته فلمعت عينا ذلك التمثال وتوهجت بالأحمر لم يستوعب محمود من الذي جرى وظن أنه يتهيئا

ضحك وقال: يبدو أنني نعست حقًا "

أعاد التمثال لمكانه وغادر الغرفة بحث عن صديقه بأرجاء المنزل ولكنه لم يجده حتى استسلم وذهب إلى غرفته لينام وقد نسي أمر نرجس تمامًا وبشكل مفاجئ!

****

هدأت نرجس أخيرًا بعد استنزفت كل طاقتها بالضحك،

تركته وجلست أمام سرير حورس تراقبه وهو نائم وتفكر كيف يكبر الطفل سريعًا هكذا، بضعة أيام فقط وستمحى تلك البراءة وذلك الجمال ليحل محله شيطان. إنهم يصنعون وحشًا ليقتل

وحشًا اخر، سينتقمون للحب بالقتل والدمار كما أفعل أنا بالضبط، كان صوت نفسها يحدثها وأفكارها سارحة بالمستتقبل فهل سيكون هنالك مستقبل لها وكيف ستعيشه مع كوابيسها تلك وسلسلة الجرائم التي ارتكبتها مرغمة، نظر لها ياسين مبتسما ببلاهة وهو في عالم آخر كليًا تغلفه الورود والأحلام الوردية وعاد لاستكمال عمله مجددًا. هو يعلم بقرارة نفسه أن هنالك خطبًا ما ولكنه لا يعرف ما هو، المهم عنده أن حبيبته جلبته إلى هنا ليعمل، وها هو يعمل لإرضائها وأي شيء اخر لا أهمية له أبدًا حتى بعد ان أخبرته بكل شيء عن الجرائم التي تحدث بالقاهرة والتي كانت من عمل يديها، حتى ولو كان هو من يشرح الجثث بيديه ويسرق أعضائهم، لا يهم! فالحب أعمى.

*****

خطى محمود داخل غرفة ياسين فوجده ما يزال نائمًا، تقدم منه يحثه على النهوض ففتح ياسين عيناه بتثاقل قائلاً وهو يتمطى

-صباح الخير.

-قل مساء الخير الساعة تجاوزت الواحدة ظهرًا هيا انهض ياكسول.

نهض ياسين ممسكًا رأسه من دوار يعتليه ونظر إلى ساعته.

اووووف تأخر الوقت فعلًا.

-اين كنت البارحة يا رجل؟

تنزهت قليلًا في الخارج. الجو كان رائعًا ليلًا، تعلم أني كالوطاويط لا أخرج إلا ليلًا.

ضحكا عاليًا ثم قال محمود:

-حسناً فعلت لكنك تتأخر كثيراً في العودة ..انزل للصالة لنشرب الشاي سوية فاليوم عطلتي ولاأريد إضاعة الوقت هنا سيد وطواط .

***

جلست على العشب الأخضر في حديقة المنزل خائفة حزينة. فهي حتى الآن لاتستطيع الخلاص أيقنت أن مهمتها بالنسبة لإيزيس ستنتهي عندما يكتمل نمو حورس ويصبح جاهزًا للانتقام ولكن ما الذي سيجري بعد ذهاب إيزيس.

هل سيكتشف رجال الشرطة أمري وأقضي بقية حياتي في السجن؟ أم سأعدم. يالهي ساعدني " تساءلت بقلق وخوف من مستقبل مجهول تسيره.

ومن بين كل ذلك التشاؤم ظهر بصيص أمل رأت فيه نفسها ترتدي الفستان الأبيض ممسكة بيد ياسين لتبدأ حياة جديدة ونظيفة مع رجل تحبه. ويحبها.

ولكن مهلًا هل يحبني حقا؟

كفي يا حمقاء تعرفين أنه مفعول السحر المتواجد في التمثال والتميمة المعلقة حول عنقك

مع تحطمهما سيتحطم كل شيء.

نفسها تنازعها وأفكارها تحاورها وتشتتها يزداد.انتفضت على صوت عم صلوحي يطلب منها إعداد الشاي لمحمود وضيفه فهرعت تنفذ الأمر لتزيل كل تلك المخيلات من رأسها.

****

تناول ياسين الملف الموجود على الطاولة. وبدأ بتصفحه وهو ينتظر عودة محمود الذي انشغل بمكتبه وأحس بقلق مفاجئ: يا الهي، كأنني اعرفهم!

دخل محمود يحمل الشاي وضعها على الطاولة وسأل ياسين

-من الذين تعرفهم؟

-هؤلاء. كلهم انظر

وبدأ يقلب بأوراق قضايا الاختفاء والقتل ليري صورهم لمحمود فبادره نظرة استهجان مبتسمًا.

وكيف لك ألا تعرفهم وهم من أكبر الشخصيات في مصر؟

زفر ياسين وهو ممسك رأسه وكأنه يريد أن يتذكر أين رآهم مجتمعين!

-محمود أنا لا اعرفهم من وسائل الإعلام عندكم ولا اعلم من يكونون أنسيت أني أعيش خارجًا. ولكن كأنني رأيتهم شخصيًا اقصد كل تلك الوجوه اعرفها جيدًا ولكن لا اتذكر اين قابلتهم يالهي أيعقل أن كل هؤلاء مختفين وبنفس الوقت؟ .

- كنا بقضايا القتل الشنيعة الغريبة والآن بقضايا الاختفاء، أتعلم أشعر أن هنالك خيطًا يربط تلك القضايا ببعضها ولكني أحتاج الدليل.

انظر إلى هذه "

واخرج من جيبه تلك التميمة الصغيرة يريها إلى ياسين الذي امسكها وبدأ يتأملها بدهشة وتمتم لنفسه قائلًا كأنها تشبه التمثال الذي بغرفتي أو تشبه تماثيل أعرفها جيدا بل ورأيتها كذلك! يا إلهي ما الذي يجري اليوم معي؟

فمرت نرجس بالصدفة بالقرب منهما لترى تلك التميمة التي كانت تبحث عنها مطولًا فتكلمت ايزيس:

-جدي طريقة وخذي تلك التميمة نحن نحتاجها

-ألا ترين أنها معه كيف سآخذها؟

-هذه مشكلتك.

-ولكن!

جلست نرجس على درجات السلم الكبير، تحاول أن تجد طريقة ما لتظفر بالتميمة وياسين يحدق فيها بين لحظة وأخرى، محمود يتكلم عن قضيته المتشابكة وهو يهز رأسه وعقله متعلق بجميلته،

ياسبن، ياسين أأنت معي!

أفاق من شروده ونظر لمحمود الذي قطب حاجبيه بعد رؤيته لنرجس ففهم الأمر.

--آه معك، معك طبعا "

لا والله لست معي، بل لست مع هذه الدنيا كلها "

صرخ بنرجس فجأة أن تجلب لهما الكعك، فانصاعت له بعد أن غمزت لياسين الذي تهللت أساريره فترك محمود بحجة الذهاب إلى الحمام ولحق بها إلى المطبخ وقبل أن يتكلم برقت عيناها بالتزامن مع التميمة المعلقة حول عنقها

-جد طريقة لتحصل على التميمة من محمود"

فوافق قائلا: أنا رهن إشارتك جميلتي "وذهب لينفذ الأمر.

****

خرجا من المنزل ليريه بعض معالم القاهرة ثم جلسا في المقهى يتحدثان فتذكر محمود ذلك التمثال الغريب الذي رآه بغرفة ياسين فتساءل:

-صحيح من أين جئت بذلك التمثال القبيح؟

فقال ياسين مستفهمًا:

-اي تمثال أتقصد ذلك التمثال الذي بغرفتي؟

-نعم وهل يوجد أقبح منه في منزلي

-لم افهمك محمود انه لك!

-لي؟ من أخبرك ذلك الكلام السخيف كيف لي أن أحضر ذلك القرف إلى منزلي.

-ولكن نرجس قالت لي أنها نظفته وأعادته للغرفة كما أنه جميلٌ جدًا فلا تقل هذا الكلام.

زم محمود شفتيه وقد خطر له خاطرٌ غريب جدًا لكنه منطقيٌ جدًا كذلك.

-نرجس إذن!

بدأ يشعر أن هناك شيئًا ما من وراء هذا التمثال الذي كذبت نرجس لأجه وشعر أنه يشبه إلى حد ما هذه التميمة التي أخرجها مجددًا ينظر إليها، وسرح يفكر به أما ياسين فأدرك أن الوقت المناسب للحصول على التميمة كما أمرته نرجس حين رن هاتف محمود فانشغل بالحديث وبدأ يلعب بالتميمة بيديه ويقلبها على الطاولة وعينا ياسين تترقب اللحظة المناسبة، وضعها محمود أخيرًا فانتشلها ياسين بخفة دون أن يلحظه محمود

وعندما انهى هذا الاخير مكالمته شغله ياسين بموضوع اخر واخر حتى نسي تلك التميمة نهائيًا وغادرا المقهى.

****

(10)

دخل غرفته وأخرج ملف القضايا مجددًا وجلس على سريره وبعثر الأوراق جميعها أمامه تأمل قضية مقتل سمر وقارنها ببقية الرجال المقتولين وفجأة تذكر تأثر نرجس الشديد عند مشاهدتها للملف وتذكر مافعله ياسين في المقهى. ونهض من فوره يصرخ؟ ان الجرائم بدأت عند وصول نرجس إلى هنا وبالطريقة نفسها التي قتلت فيها سمر، نظراتها الخائفة على الدوام، تتحاشى أن تتحدث معي وخاصة عن تلك القضية وغيرها، قضي الأمر إذن.

هرع إلى غرفة ياسين وانتشل التمثال الذي توهجت عيناه من جديد، أمعن النظر فيه بارتباك ثم ما لبث أن أغلق عيناه بقوة ووضعه في حقيبته. سحر تعمل تلك الفتاة بالسحر دون شك.

ان لم تكن هي القاتلة فهي حقًا تعرف القاتل

حل المساء وكان ياسين قد سلم التميمة لنرجس التي أخذتها من فورها وذهبت بها إلى المقبرة معه لتعطيها لحتب سخت ولم يلحظا تلك القدمان اللتان كانتا تسير ورائهما بخفة.

حتى وصلا إلى باب المقبرة ودخلاها مما زاد حيرة محمود

-يا الهي كيف يأتيان إلى هذا المكان؟ لم افهم!

هرع يلحق بهما لكنهما كانا قد اختفيا فجأة من أمامه، تلفت ذات اليمين وذات الشمال يبحث عن أي أثر يقوده إليهما لكنه لم يصل لشيء،

-اللعنة أين هربا مني!

****

كانت ايزيس تتأمل ابنها الجميل النائم الذي بلغ اليوم العشرين عامًا من عمره وتقارنه بأوزيريس زوجها الحبيب فكم صار يشبهه! حتى قطعت خلوتها نرجس ولوحت لها بالتميمة فتهللت أساريرها ونادت بأعلى صوت لحتب سخت الذي لبى النداء من فوره واخذ التميمة منها قائلًا:

-أخيرا عثرتم عليها

ثم اردف يحدث ايزيس: غدا موعدك مع الانتقام

وغدًا ستعودين إلى جسدك.

ابتسمت وقالت: لكم فرحتي عظيمة.

و أنتِ يا نرجس أخيرًا ستتخلصين مني "

بابتسامة كبيرة أجابتها:

أخيرًا سأعيش حياة طبيعية بعيدًا عن هذه الأجواء الجنونية

****

عاد محمود أدراجه خائبًا نحو المنزل وخطر له أن يدخل إلى غرفة نرجس ليضحد شكوكه المتزايدة تجاهها، وفعلًا دخلها.

تأمل الغرفة جيدًا ولكنه لم يعثر على شيء غير طبيعي فيها. فتح الخزانة يعبث بأغراضها لكنها مجرد أردية بسيطة لا شيء مهم أو مثير الريبة، تلمس نقوش المرآة الغريبة بدت بطريقةٍ فجة قديمة وأثرية أنى لفتاةٍ كنرجس بهذه المرآة الغالية؟ كاد أن يخرج لولا أته القى نظرة أسفل السرير ليلمح صندوقًا كرتونيًا، حمله وأخرج محتوياته وانصعق!

*****

رن هاتف المنزل فأجاب محمود على المتصل وابتسم قائلًا:

-أهلا وسهلا بك سيدتي. طبعًا سيتفاجأ كثيرا أعدك، كلنا سنتفاجئ.

اغلق السماعة وقال لنفسه: آسف يا صديقي ولكن هذا هو الصواب. لمصلحتك"

وصعد إلى غرفته، خلع عنه ملابسه ودخل يأخذ حمامًا ساخنًا ليريح أعصابه متجهزا للأحداث المثيرة التي ستحدث بعد ساعاتٍ قليلة من الآن،

اجتمع الصديقان على مائدة الإفطار ونرجس ترص الأطباق على الطاولة، كلاهما ينظر إليها، فواحد منهما نظراته تحمل كل معاني الشوق والحب، ترسم أحلامًا وتتعلق بأوهام، والآخر يحتل الشك قلبه لكنه. يبتسم، لكن هذه المرة كانت ابتسامة مكرٍ وخبث.

حتى دقت الساعة الخامسة مساءًا وسار محمود إلى المطار مسرعًا، استقبل ضيوفه وعاد بهم إلى المنزل، وكان ياسين يأخذ قيلولة بسبب سهره طوال الليل يعمل تحت أمرة حتب سخت

******

بهذه الأثناء كانت نرجس بغرفتها ترتبها بعد أن أنهت تنظيف منزل سيدها، . فجأة طرق الباب ففتحت لتجد محمود،كادت أن تتكلم لولا أنه دخل مسرعًا وأغلق الباب ورائه كيلا يلحظه أحد فصرخت به بارتباك:

-ما! ما الأمر؟

تجاهل فزعها وتقدم نحوها بسرعة والصقها بالحائط

فصرخت به:

-كيف تجرؤ على.

قاطعها محمود مهددًا: اخرسي، لقد عرفت كل شيء، وستدفعين ثمن جرائمك أيتها الساحرة الكافرة".

-كافرة!

خفق قلبها بشدة ولكنها تمالكت نفسها مدافعة:

- ما الذي عرفته ابتعد عني؟ وكيف تقتحم علي الغرفة هكذا؟ ان كنت تظن أن عملي عندك يجعلك تتجاوز حدودك فأنت مخطئ. وأي جرائم تتكلم عنها، ما هذا الجنون؟

****

دخلت إلى الغرفة وأغلقت الباب ورائها فرأت ياسين يغط بالنوم. أقبلت وجلست على حافة السرير مسحت على شعره بكل حنان قائلة: لكم اشتقت إليك يا حبيبي. وطبعت قبلة على جبينه ففتح عيناه

وصرخ وكأنه رأى الشيطان وجهًا لوجه.

*****

اعتصر محمود ذراع نرجس بقوة ورماها على الأرض، أخرج من حقيبته التمثال وقذفه ناحيتها فأمسكته وضمته بقوة إلى صدرها لئلا ينكسر، فصرخ فيها:

-الآن بت أعلم كل شيء، من عند أي دجال اشتريتِ هذا السحر. وماغرضك من الإيقاع بصاحبي تكلمي؟ وما سر الصندوق المتواجد تحت سريرك!

يحوطك الغموض، الخوف والارتباك رفيقان دائمان لك، تضعين تماثيل ملعونة بمنزلي وترتدين قلادة غريبة جدًا، أريد ان أعرف كل ما يدور حولي حالًا:

وهذه المرآة الغالية من أين سرقتِها.

هنا نرجس خافت كثيرا قائلة بسرها:

-ليلعنك الله يا ايزيس تعالي وانقذيني من هذه الورطة.

بقيت صامتة وهو يصرخ فيها ويكمل:

-عرفت أنك القاتلة، كل تلك الجرائم أنت ارتكبتها أو ساعدت أحدهم لارتكابها. فهي تزامنت مع وصولك إلى هنا، تتخفين بثوب الطهارة والبراءة لكن تاريخك الأسود القذر وتصرفاتك قد اتضحت، دخولك المقبرة، تأخر ياسين ليلًا وكل يوم والله وحده يعلم بأي شيء شنيع أو منظمة قمت بتوريطه فيها،

أخرج هاتفه المحمول ليتصل بفرع الأمن، العرق قد غمر جبهتها وأحست وكأن حبل المشنقة قد التف حول عنقها، لم يعد لديها ما تخسره فعليًا وستواجه مهما كلفها الأمر! قفزت بكل قوتها تحاول انتشاله من يده وبدآ بالشجار ركلته بعنف على ساقه فصرخ ألمًا ورماها على الأرض بقوة وثبتها بيديه صارخًا:

-انتهى كل شيء أيتها المجرمة "

وفجأة توهجت عينا نرجس بلونٍ قوي جدًا، الدعم قد جاء لا محالة. أبعدته بقوة قد ظهرت بغتة وكأنها قوة ألف رجل فرقعت عظام رقبتها ثم ابتسمت بطريقةٍ ماكرة، فارتد إلى الوراء وسقط، فتح محمود فمه ببلاهة ينظر غير مصدق لما حدث للتو!

خطت نرجس مجددًا باتجاهه، خاف والتصق بالباب كرد فعلٍ تلقائي، الابتسامة الشيطانية لم تفارق محياها ثم أمسكت محمود من ياقة قميصه ورفعته عاليًا صارخة بعنف وبصوت غريبٍ جدًا:

-نعم أنا القاتلة. أنهم من سلالة الشيطان. يستحقون الهلاك. والآن ياصغيري هل ترغب في ان تكون كغيرك مجرد جثة هامدة ممزقة الأوصال!

حدق فيها غير مصدق لما يجري، كان كلعبةٍ بين يديها صار يبسمل ويحوقل، كادت ان تلقيه بعنفٍ لولا صاحت نرجس مجددًا لكن بصوتها الطبيعي هذه المرة، سقطا أرضلً بعنف وتعابير وجهها قد اكتساها الخوف

زحفت تجاه المرآة وخاطبتها برجاء:

لا تؤذه أرجوك جدي أي طريقة غير القتل"

لم يفهم محمود كيف تخاطب تلك الفتاة نفسها عبر المرآة أهي مجنونة، ممسوسة؟ تعاني الفصام أم ساحرة، وسط رعبه وذهوله بدأ يفكر بطريقة للسيطرة عليها حتى أردفت مجددًا لكن بصوتها الغريب.

-لا قتل إذن، سينسى كل الذي جرى وكأنه مجرد حلم.

تقدمت منه مجددا بإصرار تمتمت بكلمات مبعثرة الأحرف ونفخت بعدها بقوة على وجهه وشدت شعره وارجعته بطريقة كادت أن تكسر عظام رقبته ثم رمته خارجًا على كرسي الحديقة

وهنا قالت ايزيس بعد أن خرجت روحها من جسد نرجس

-لم يعد مكوثك في هذا المكان آمنا فلنذهب هيا.

-ولكن أين سأعيش! في تلك المقبرة الملعونة المليئة بالجثث! بأحلامك

-أنقذتك مرة يا غبية لن استطيع انقادك في كل مرة. ليس أمامك خيارٌ آخر.

مر صلوحي في الحديقة فرأى محمود مستلقيًا على الكرسي، ركض باتجاهه وبدأ بهزه

-سيدي، محمود بك، هل أنت بخير؟

نظر محمود إلى صلوحى واعتدل في جلسته متمتمًا

- كيف غفوت هنا و ما هذا الحلم الغريب!! لاتقلق أنا بخير عد لعملك.

وتوجه مجدداً إلى غرفة نرجس، كان يعلم انه بصدد الدخول إلى غرفتها قبل أن يغفو ولكنه نسي لماذا طرق الباب فقالت نرجس بخوف :

-الم تقولي أنه نسي كل شيء ماذا يريد الآن..

-طبعًا نسي كل شيء جرى ، افتحي وسنرى "

فتحت له الباب تحاول رسم ابتسامة مرتبكة على وجهها وقالت :

أهلا سيدي، هل من خدمة

.ياإلهي لقد نسيت ما الذي جاء بي إلى هنا ، ضحك بسذاجةٍ لثوان ثم أجابها

-نعم نعم تذكرت ،اسمعي لقد وصلت زوجة ياسين من السفر وضبي الغرف وجهزي طعام العشاء

وأمر آخر ،لا تتصرفي بشكل متهور أمام زوجته فهي تغار كثيراً وستقتلك لو علمت بعلاقتك بزوجها مفهوم " .

نظرت له و أحنت رأسها بألم...

-حاضر "

قالت له ذلك وفكرت بزوجة ياسين وجلست على سريرها دامعة العينين(إذن ، انتهى كل شيء بالنسبة لي)

****

فتح ياسين عينيه ليرى زوجته رولا تجلس على حافة السرير بابتسامة واسعة ، تفاجئ وصرخ بأعلى صوته فهبت واقفة وقالت :

- ما الذي جرى لك لم أقصد إخافتك أنا آسفة

-رو..رولا ما الذي جاء بك إلى هنا .

-نعم !

- أقصد لم تعلميني بحضورك اليوم، كنت استقبلتك بالمطار .

-تركتها مفاجئة لك، إنها مفاجئة جميلة أليس كذلك؟

وابتسمت له كالبلهاء اما هو فاعتدل بجلسته مسح وجهه بيديه مجيبا:

- نعم نعم جميلة ، جميلة جداً.

جلست بجانبه مجدداً وبدأت تثرثر كعادتها وهو.يهز رأسه مستسلماً يفكر بنرجس الصغيرة وكيف سيتصرف الآن، كيف له أن يذهب معها إلى المقبرة بعد ذلك وتلك الجاثومة جالسة على قلبه وحياته كالكوابيس !

*****

كان الجميع مجتمعين على العشاء ورولا كعادتها لاتكف عن الكلام وعينا نرجس المسكينه حمراوان من شدة البكاء، نظر لها ياسين بأسى وتمنى لو يركل زوجته بعيدا أو يسلخ جلدها ويطعمها للذئاب الجائعة" فلم يعد يراها رولا الجميلة التي قتل نفسه للزواج بها أصبحت بنظره مجرد شيطانة بقرون طويلة وانياب!! أما محمود فابتسامته اتسعت لنجاح خطته وشعر بارتياحٍ شديد فوصول رولا الآن سيشغل ياسين عن نرجس فهي لن تدع له مجال حتى للتنفس.

وبقيت نرجس على هذه الحال لاتتكلم، حاول ياسين معها مختلسًا بعض اللحظات ولكنها لم تجبه بقيت جامدة كالصخر رآها مساءاً في المطبخ أغلق الباب كيلا يلمحه أحدهم توجهت قلادتها بضوءٍ شديد فأمسك ذراعها قائلاً :

-كل شي سيبقى على حاله سأتخلص منها أنت لاتحزني هكذا أرجوكِ مجرد رؤيتك على هذه الحال تحطم قلبي ، اسمعيني نرجس أحبك...افهمتي أحبكِ أنتِ"

كاد أن يقبلها دفعته بعنفٍ وأجابته :

-كفى إبتعد عني ، لاتقترب مجدداً مني، كل مافعلناه كان خطأ منذ البداية "

لم تكمل جملتها حتى جاءت إيزيس احتلت جسدها لتقودها إلى المقبرة قبل أن تتصرف بطريقةٍ غبية وتخرب عملهم.

هرع خلفها يحاول التكلم حتى رآه محمود و رولا فهرع إليه محمود يسأل بعد أن لحظ اضطرابه

-إلى أين ..

-أريد أن أكلم نرجس

هرول ورائه محمود ثم أمسكه من ذراعه هاتفًا به:

- لن تذهب لأي مكان الآن

بهذه اللحظة تقدمت منهما رولا تتسأئل باستغراب:

-ما الذييجري هنا اجيبوني؟

تجاهلها ياسين وصرخ بصديقه بعد أن نفض يده بقوة:

لا دخل لك محمود افهمت بكفي ما فعلته بي حتى الآن

غضبت رولا من تجاهلهما لها وصاحت:

- لما لم يجبني أحد ما الأمر ولم عليه اللحاق بالخادمة

قلب ياسين نظره بينهما باشمئزاز وتركهما مغادرًا.

*****

ذهب محمود لمكتبه غاضبًا أخذ حقيبته وسار مسرعًا حاولت رولا اللحاق به لفهم مايجري ولكنه أبعدها قائلًا (لا تقلقي لا أمر مهم ليشغل بالك سأحضره حالًا) وركب سيارته ولحق ب ياسين حتى وصل إلى المقبرة ركنها بجانب الطريق وسار ورائه، وهذه المرة تابع خطواته خطوة وراء خطوة حتى وصل إلى ذلك القبر المزخرف، سحب ياسين مقبض القبر ففتحه وهبط بداخله.

شعر محمد بكهرباء تجتاح عموده الفقري. نزل ورائه بهدوء شديد ينظر إلى هذا المكان الغريب الذي قادتهما نرجس إليه، كان ينزل الدرجات شاعرًا برهبة كبيرة، وفكر بأنه ربما يكون هذا وكرًا لجماعة سرية أو منظمة إرهابية ما ولن يستطيع إخبار السلطات كي لا يتورط صديقه كذلك فقرر أن تكون هذه المهمة بينه وبينها فقط

كانت نرجس تجلس في زاوية من زوايا الصالة عندما وصل ياسين ومشى باتجاهها وإيزيس تهيم بكل حرية بأرجاء المكان، حدق فيها مطولا وكاد أن يتكلم معها لولا أن ايزيس هبطت وقالت لنرجس قفي وانظري لحتب سخت فورًا.

تابعوه بأعينهم وهو يمسك التميمة ويدور حول

البركة، وضع التميمة الأخيرة في مكانها المطلوب فلمعت عيناها واشتد تدفق الدماء من أفواه بقية التمائم التي اكتملت أخيرًا، ووقف أمامها وبدأ يرتل كلمات غريبة، تارة تعلو نبرة صوته وتارة تخفت، رفع يديه عاليًا وشد قبضتيه فتطاير ردائه الأسود الجهنمي حتى توهجت العيون بوهج أحمر وهبت ريح شديدة تطايرت معها عباءته وبدأ يقول:

-حاان الوقت.

-حان الوقت.

عندها دخل محمود صارخًا خائفًا وبتلعثم صاح: ارفعوا أيديكم جميعًا وأشهر مسدسه نحو حتب الذي استدار ونظر له ببرود ولم يعره أي اهتمام.

أما محمود فعاود صراخه من جديد:

-يا الهي ما هذا الشيء؟ أيا كان جنسك أيها الأخرق إستسلم وإلا اطلقت النار عليك.

-محمود ما الذي جاء بك؟

تساءلت نرجس بفزع وأكمل ياسين. كنت تراقبني؟

فصرخ به: أأنت مجنون لتلحق بتلك الساحرة الملعونة إلى هنا يا ياسين، أنت مسحور نعم أؤكد لك انك مسحور سحرتك تلك الفتاة لتجلبك إلى هذا المكان القذر لغاية في نفسها! . كنت اعلم هذا وأنت أعطيتني الدليل. عندما سرقت تلك التميمة وسلمتها إياها لتكتمل أغراض السحر

انهارت نرجس باكية وهي تحتضن التمثال بيديها وهي تتمتم بخفوت: لستُ ساحرة،

لكن محمود لم يستمع إليها قال بتحدٍ:

-ساحرة، والتمثال هو روح الشر التي استحوذت على صديقي " ثم أطلق رصاصة من مسدسه اخترقت التمثال فتناثرت أجزاؤه وتبعثرت مصدرة دخانًا كثيفًا. خر ياسين على ركبتيه أمسك صدره وصرخ ألمًا وقد بدأت مئات الحشرات الصغيرة تخرج وتتطاير من فمه لتحلق بعيدا وهمدت حركته ارتجفت نرجس قائلة:

- أيها الغبي مالذي فعلته به!

وركضت باتجاه ياسين وهي تبكي وبدأت تهزه أما محمود فجفل فزعًا مما حل بصديقه وحاول اللحاق به لمساندته.

نظر له حتب سخت. وقال:

-كدت تقتله أيها الفاني لا تُفك اللعنات بتلك الطريقة والآن فلننه هذه المهزلة فلا وقت لألعاب الأطفال تلك

وصفق بيديه لتخرج من الأرض ذرات رمل تتجمع فوق بعضها البعض مشكلة بضع رجال اتجهوا نحو محمود وحملوه وكبلوه بالأصفاد على خشبة في القاعة وحملوا ياسين واضعين إياه على سرير، ركضت نرجس باتجاه حتب.

-أرجوك ساعده أتوسل إليك ما لذي جرى له أنت أخبرتني لن يصيبه أي مكروه.

-قالت ايزيس لها مطمئنة: لا تقلقي سيكون بخير والأن لنعد للعمل ياحتب.

-انتظروا أي عمل ستقومون به الآن! ياسين أريده حيًا افهمتم، ومحمود اتركوه لاشأن له بكل هذه القضية.

قال حتب سخت لها:

مع الأسف ذلك الغبي. قد اقحم نفسه بموضوعٍ أكبر منه وسيتحمل النتائج اؤكد لك أنه سيتمنى الموت على الهول الذي سيراه هنا، ولا تخافي على كلبك الاليف ياسين سيتعافى عندما يحين الوقت.

فانتفض محمود صارخا باستهزاء:

-أنتِ أيتها الساحرة تدافعين عني !

فأجابته بهدوء : أنت لا تفهم شيئاً أبداً ،

ما كان لك أن تلحق بنا ،إن المشكلة هذه أكبر منك سيدي.

-أكون ممنوناً لو افهمتني ما الذي يجري ومن هذا الأخرق القبيح ،و ما هذا المكان .

تركته نرجس بعد ان اقتربت منه وقالت تهمس :

-لاشيء أقوله لك .و أتمنى أن تنسى كل الذي رأيته وستراه لأنك ستصاب بالجنون ولن يصدقك احد مهما حاولت أن تشرح لهم افهمت .

-أفهم من كلامك اني سأخرج حياً من هنا ..اتشكر كرمكم هذا..... أين ذهبت لم اكمل حديثي هيبي نرجس " .

وغابت نرجس في الغرفة المجاورة عند ياسين وتركته ينظر حوله بذعر لهذا المكان الغريب .

كانت الاعين تتوهج باستمرار والدم مازال يتدفق حتى امتلأت البركة وبدأ الدم بالتساقط فامتلأت شقوق مرسومة على الأرض وأكمل السائل طريقة ليملئ شقوقاً في الحائط لتتشكل رسمة كبيرة لعنكبوت ضخم وفي المنتصف تماماً عند عينيه ظهرت بلورتان حمراوان كالدم التقطهما حتب سخت تحت انظار محمود الذي كاد أن يفقد عقله تمامًا من هول هذا المشهد.

أخذ البلورتان واتجه إلى الغرفة التي يرقد فيها حورس ووقف أمام سريره الزجاجي ووضع بلورة منهما في حاملة أعدت خصيصًا لتلك البلورة فانفتح الزجاج

فتح حورس عيناه وشهق بقوة وأصبح ينظر حوله حتى

نهض فنظرت له والدته من خلال جسد نرجس وعيناها تدمعان واقتربت منه لفت جسده العاري بقطعة قماش و قبلت جبينه قائلة له :

الآن وبعد هذا العناء كبرت وأصبحت قادرًا على الفتك بعدوك، أنت املي الوحيد في القضاء على ست واستعادة عرش مصر ..فلتكن الآلهة في عونك يا بني ..ياملك المستقبل وفرعون مصر الجديد .

نظر حورس إلى والدته وانحنى طابعاً قبلة على يدها وضم يده هلى صدره

أرجو أن أكون على قدرٍ من المسؤولية يا أمي ...

*****

(11)

سار حورس باتجاه الرجال النائمين على الأسرة في الغرفة المقابلة .وقف في منتصف الحجرة وأخذ البلورة الثانية من حتب الذي انحنى احتراماً للفرعون وتنحى جانباً .

أمسك حورس البلورة ووضعها في حاملة بمنتصف الغرفة فسار السائل من جديد باتجاه الأسرّة الموزعة بانتظام في الغرفة وبدأ الرجال بفتح أعينهم والنهوض الواحد تلو الآخر حتى وقفوا صفوفاً منتظمة.

وخرجوا إلى القاعة الرئيسية مجتمعين أمام البركة .

هنا شهق محمود عندماً رأى بعضا من الرجال المختطفين أمامه ..

-أنتم هنا !!....هيي أفيقوا انتم كذلك مسحورين!!

-اخرس.

صرخ فيه حتب وتابع النظر اليهم.

كانت أعين الرجال تتوهج باللون الأحمر الناري وامتدت يد الفرعون يمسك سيخًا حديدياً بأخره ختم مفتاح الحياة،

وبالترتيب أخذ يضعه في النار ويكوي به صدور الرجال ليكتمل جيشه المؤلف من أقوى الرجال و أعتاهم.

وقفوا صفاً واحداً يتقدمهم حورس وايزيس تقف بجانب ابنها،

خطى حتب سخت باتجاه البركة مجددًا يرتل تعويذة وضغط بيده على أعلاها ليظهر بعدها دخان كثيف وينتقل جميع من في المكان إلى الماضي ووجدوا انفسهم بسردابٍ قريب من قصر الفرعون.

كان المكان رطبًا مظلماً إلا من بضعة مشاعل تتموزع على جانبي السرداب قام حتب باشعالها لتنير طريقهم وفي نهايته غرفة كبيرة دخلوها فإذا بها مليئة بالأسلحة والدروع، استلم كل واحد منهم سيفه وارتدى درعه ووقف استعداداً ، أما محمود فكان بجانبه حرسين من الرجال يكبلانه فصاح بهما بنفاذ صبر : . .

-لن اهرب منكم هنا هلاّ تتركوني قليلاً !

تجهز الفرعون الشاب واستل سيفه وسار في طريقه للفتك بعدوه ؟،أما ايزيس فعاودت التحكم بجسد نرجس زيها وسارت مع ابنها بثبات فقد حان وقت المواجهة العظيمة .

*****

كانت البلد بحالة فوضى عارمة والجوع كاد أن يفتك بأبناءه وحراس ست يلهون ويعبثون بكل مكان..

وقف حورس بكل شموخ مع والدته في مقدمة جيشه وسار بهم إلى القصر، كانت الأعين تحدق غير فاهمين لما يجري الآن فباعتقادهم أن زوجة الفرعون قد ماتت بعد اختفائها المفاجئ، حتى ست لم يعد يهتم بالبحث عنها وانشغل بحكمه للبلاد أو نهبه لها إن صح التعبير ، حتى رأى الحراس هذا الموكب المهيب فجرى بعضهم مسرعًا لإخبار ست الذي كان يجلس على عرشه ويلهو ماسكًا كأس الخمر حوله تتراقص المغنيات، انتفض عند سماعه للخبر وصعقته الصدمة وعلم أن الأوان قد حان بعودة ايزيس ولكنه تسائل عن ذلك الجيش الغريب الذي تتقدمه

أمر حرّاسه بالتقدم ،واعتمر خوذته ليدافع عن ملكه واندفع خارجاً من القصر فلاح له هذا الموكب .

ابتسم بخبث واخذ يصيح عندما قابلته وجها لوجه

ـ أهلاً أهلاً بأيزيس ،أين هربتِ مني كل تلك المدة ياعزيزتي بحثت عنك مطولاً حتى ظننت أنك لحق بزوجك؟ أيعقل أن تهرب عروس بليلة زفافها ياعزيزتي "

تقدمت منه أكثر وقالت بتحدٍ :

-صدقني أيها الوغد ستشتاقني كثيرا من الآن فصاعداً وأنت تتلوى بنار الجحيم "

والتفتت باتجاه حورس لتقول :

-والآن هيا يا بني فلتأخذ بثأر أبيك من هذا الخائن الخسيس.

من ؟؟؟؟.

-ما هذا الهراء يا إيزيس ؟ابن من يكون هذا وكيف ذلك !

تساءل ست بعدم فهم بعد أن رأى حورس فأجابه حورس وهو يتقدم منه :

-هنالك أمور أيها الخائن يصعب تصديقها أو فهما، هيا استل سلاحك وواجهني وكفاكَ عبثًا"

صرخ فيه واستل سيفه وهجم باتجاه ست الذي تصدى لضرباته بقوة وبدآ بالمبارزة أمام أعين الجيشين المنتشرين حولهما، نظر ست لعينا حورس وقال بارتباك:

-تحمل نفس عينا أبيك أيعقل.

وبعد مدة صرخ ست بجنوده:

-هيا أيها الأغبياء تقدموا وقاتلوا لا تقفوا كالمخابيل!

و تقدم جيشه ليلتحم الجيشان ببعضهما ودارت معركةٌ عنيفةٌ على الأرض الرملية، كان الرجال يفتكون بجنود ست وأعوانه والرؤوس تتطاير والرماح تخترق الصدور بوحشيةٍ ودوت الفوضى بين أبناء الشعب.

وقف محمود غير مصدق لما يجري وظن أنه يحلم فلًا تفسير منطقي لهذه الأحداث التي شهدها اليوم. لأول مرة يرى قتالًا من هذا النوع. قتال فراعنة!

وابتعد عن ساحة القتال بما يكفي ليشهد القتال المرعب، وكان الرجال المصنوعين من الرمال يتبعونه كظله حماية له ولصد أي ضرباتٍ قد تناله من أي جنديٍ بالخطأ حتى جلس أرضًا يتابع المشهد كأنه يتابع فيلمًا وثائقيًا لا ينقصه سوى طبق فشار!

-أيها الرمال لن أهرب هنا ما بالكم!

قالها بتهكم حتى مرَّ بالقرب منه مجموعة من الفراعنة تناسوا الشجار الناشب قرب قصر الفرعون وأخذوا يتطلعون لسترته الجلدية وبنطاله الجينز باستغرابٍ شديد وحاول بعضهم لمسها وهو يبتعد عنهم ويهدد بعضهم الآخر: ما بالكم يا قوم وكأني أنا الغريب هنا لا أنتم!

وبعيدًا عن محمود كانت ايزيس بجسد نرجس تقف بعيدًا لتراقب نتائج هذه المعركة العنيفة التي استمرت طويلًا فقررت إنهائها بطريقتها الخاصة. وركضت باتجاه منتصف البلدة وصرخت بأعلى صوت:

((يا سكان النيل.

أنا إيزيس زوجة ملككم أوزوريس العظيم ها قد عدت أخيرًا، لأجلكم. لأجل زوجي.

أطلب منكم المساعدة في القضاء على هذا الطاغية والانتقام لمليككم، أطلب منكم أن تهبوا وتقفوا صفًا واحداً لاسترجاع حقوقكم المسلوبة"))

تردد البعض وتراجع خوفًا من العقاب وبعضهم فر هاربًا واختبئ بمنزله فلأيريد المزيد من المشاكل التي لن ترتد سوى عليه. حتى أردفت برجاء

ياسكان مصر.

دافعوا عن السلام والحب، دافعوا عن الحرية والكرامة والشرف التي هدرها هذا الوحش وأعوانه،

لاتكونوا جبناء صامتين فخوفكم هذا سيزيد ظلم الطغاة وسيزيد الجوع والفقر والمرض، هيا استلوا السيوف وانزلوا لأرض المعركة رجالًا ونساءًا لتؤمنوا مستقبل أطفالكم للعيش بسلام.

إحموا بلدكم وأرضكم. ومستقبلكم "

تعالت صيحات بعض الرجال أخيرًا وهبوا لمقاتلة الجيوش والدفاع عن حريتهم وخرج المختبؤون في ديارهم وساعدت النساء في تضميد الجراح والقتال

رأى بعض جنود ست أن لا أمل لهم بعد أن هبّ الشعبُ وثار ضد حكم الطاغية فأعلنوا استسلامهم، ومنهم من رمى سلاحه وفرَّ هاربًا من ساحة القتال فأخذ ست يصيح بهم بيأس:

الخونة. أيها الخونة قاتلوا

لاتهربوا عودوا "

فانقض عليه حورس، نظر لعينيه بانتصار ناويًا على غرز السيف بصدره، فتح هذا الأخير عيناه باتساع وشهق محاولا النجاة، ست العظيم يموت بهذه البساطة على يد شابٍ يافع! أقبلت عليه إيزيس وانحنت باتجاهه قائلة:

-لكل قصةٍ نهاية. وها أنت ذا قد أنهيت قصتك"

كادت ان تغرز السيف لولا صاح حتب سخت بصوتٍ جهوري أرعب الجميع:

سيكون عقابكَ أشدُّ من الموت يا ست.

واحتضنه بردائه الأسود ليختفيا وسط الجمع المندهش مما يجري.

صرخت ايزيس بفخر:

-النصر.

النصر. يا ابناء النيل العظيم.

النصر للشعب وللفرعون حورس "

هلل الجميع لنجاتهم وتعالت صيحات الفرح والانتصار أما ايزيس فأمسكت يد ابنها ودخلت معه إلى القصر.

تأملت قصرها فكم اشتاقت إليه

نظرت لعرش زوجها وعضت على شفتيها ألما،

كان حتب سخت في انتظارهما هناك وبجانبه تابوت خشبي مزركش بدقة كبيرة.

تساءلت ايزيس بعدما رأته:

إلى أين أرسلت ست؟

شف وجهه الشيطاني عن ابتسامةٍ ماكرةٍ ثم أجاب:

-إلى مكانٍ مناسب لأمثاله،

ثم أردف بعد فترة صمت: حقٌ عليَّ ان اعيد أمانتي اليكِ.

وفتح غطاء التابوت فابتسمت له إيزيس عندما رأت جسدها يرقد بداخله، خرجت من جسد نرجس بسعادة ثم اندفعت دفعًا نحو جسدها الراقد، فتحت عيناها وصارت ترمش بهما واتسعت ابتسامتها ثم خرجت من التابوت تتلمس جسدها وتقول باعتزاز:

أخيرًا يا جسدي العزيز لكم اشتقت إليك. اعذريني يا نرجس لا اقصد الإهانة ولكني لم أكن مرتاحة فجسدك ممتلئ قليلًا وحركتك ثقيلة.

قهقهت نرجس وأجابتها بعد أن استشعرت حريتها أخيرًا:

-نعم أيتها الملكة، روحان بجسدٍ واحد أمرٌ رهيب!

أخيرًا أصبحت حرة، مبارك لك عودة عرشك، والآن بعد انتهى كل شيء بسلام كيف لي أن أعود لزماني ووطني وماذا سيحل بي بعد أن اكتشف محمود أمري.

تكلم حتب سخت مطمئنًا:

لا تقلقي، لن يتكلم أبدًا، سينسى كل شيء. مصيره أن ينسى وأن يعتبره حلمًا والا سيفقد عقله بالتأكيد.

-لكن أين هو الآن؟

أجاب حتب بصوتٍ جهوري: يقومُ بجولةٍ مع رجالي.

شهقت نرجس فتعالت ضحكات الحاضرين في حين كان محمود المسكين يركض هربًا من مجموعة فراعنة.

******

-فلتبقي هنا أيتها الشابة ستعيشين حياة كريمة ينا كما أن ملابسنا الفرعونية لائمتك أكثر من تلك الغريبة التي كنت ترتدينها قبلًا "

كانت هذه من حورس الذي لمعت عيناه انبهارًا بنرجس فأجابته:

-اعذرني أيها الفرعون لا استطيع التأقلم هنا معكم في زمانكم لدي حياتي الخاصة هناك "

خطت ايزيس باتجاه نرجس، خلعت من صدرها عقدا من الأحجار الكريمة وألبسته لنرجس كذكرى وقبلتها مودعة إياها قائلة:

يا نرجس بداخلك لؤلؤة نقية كدت أن ألوثها بنار الانتقام والحقد الذي أعمى بصري، ولكنك كنت قوية ولم تستسلمي بسهولة، احرصي على أن تبقي طيبة ونقية

هكذا، أما بالنسبة لذلك الخائن وسلالته اللعينة قد انتهينا منها ونظفنا ولو جزء بسيط من سكان النيل

-أنت حقًا غريبة يا ايزيس. تارة أراكِ شريرة وأحيانًا تكونين طيبة ما السر فيكِ؟

-يا صغيرة. لا يوجد شرٌ مطلق أو خيرٌ مطلق، الإنسان يمر بهاتين الحالتين تباعًا ولكن الأقوى هو من يطهر قلبه وروحه من الحقد الذي قد يدمره قبل أن يدمر الآخرين. . كما ان الشر موجود الخير موجودٌ كذلك، ابحثي عنه وتمتعي بحياتك.

الآن هيا اذهبي لزمانك وعيشي بسعادة وانسي الماضي بكل آلامه،

وقبل أن تغادر قالت لها:

اه اسمعي. الحقي ما سيمليه عليكِ قلبك. إنه يحبك. هو يستحقك حقًا.

-من تقصدين ياسين؟

-ومن تحدث عنه ؟! أقصد شخصًا آخر .

-غمزت لها وتركتها لتذهب ولم تضف شيئًا آخر أما نرجس فظلت تفكر بكلامها دون أن تفهم من كانت تقصد.

ودعتها ومشت خلف حتب سخت الذي أوصلها لغرفة من غرف القصر فكان محمود جالس هناك ممسكًا رأسه من الصدمة اقتربت منه رفعت رأسه بيديها وقالت بإشراقة:

- لقد انتهى الجنون الآن سيدي

نظر لها ولم يعلق. فأردفت:

-يا سيدي العزيز كل تلك الجرائم أعترف أني نفذتها بيدي هاتين ولكني كنت مجبرة على القيام بها وصديقك كذلك شارك فيها ولكن أؤكد لك أنها بفعل قوى أكبر مني ومنه، وانت رأيت ذلك

بعينيك وفهمت قصدي. هي أمور صعب أن أشرحها لك لأنها خارجة عن المنطق والتعقل ولكنها موجودة شئنا أم أبينا هي موجودة، وحتى بالنسبة للسحر لم يكن لي أي علاقة به فلست أنا من فعله لصديقك، والآن هيا لنعد إلى زماننا وأعدك أنك لن تراني ثانية، سأغادر وسأدع صديقك يعيش حياته بهناءٍ مع زوجته"

حدق محمود باتجاهها قائلًا:

-ما زلت لا أصدق! هل كل مررت به حقيقي أم سأستيقظ غدًا لأرى أني كنت أحلم ليس إلا!

فاحتضنت كفه مؤكدة:

-حقيقي. كل شيء عشته هنا حقيقي، نصيحتي لك أن تنسى ما مر معك ولا تفكر فيه أو اعتبره مجرد حلم، وأنا سأنسى كل شيء مر معي سأنساه وسأبدأ صفحة جديدة نقية.

أنهت كلماتها وطلبت من حتب إرجاعهما.

****

كانت إيزيس الآن تتجول بأرجاء القصر برفقة حورس، عيناها تدمعان وهي تتذكر حبيبها وزوجها الملك.

بالرغم من تلك التغييرات التي أحدثها ست بالقصر إلا أنه مازال يحتفظ بلمساتها وروحها هي، لكم كانت فرحتها عظيمة الآن وهي تمسك يد ابنها وتحدثه عن والده الفرعون العظيم.

خرجت إلى الشرفة وخاطبت بالناس وواستهم ووعدتهم أن كل شيء سيتغير وأحوالهم ستتبدل برجوعها ثم أمسكت يد حورس ورفعتها قائلة:

-هيااا حيووا الملك الجديد.

وتمسك الشعب بهذا الأمل من تلك الملكة العظيمة والفرعون الشاب وهللوا فرحين عسى أن يكون كوالده.

وبعدها انتقت عربة وخلفها بعض الحراس وذهبت إلى ذلك الكهف الذي وضعت فيه مومياء اوزيريس وأمرت جنودها بتزيينه وجعله مدفنًا لائقا للملك بجعله أغنى وأعظم مدفنٍ على مرّ التاريخ.

****

كان ياسين مايزال مستلقيًا على السرير، تقدم حتب باتجاهه ومسح على وجهه،

ففتح عينيه ببطئ ونهض، اقتربت منه نرجس فابتسم لها وحاول أن يضمها إليه، كادت أن تستسلم له لولا تذكرت زوجته، أغمضت عيناها بقوة خلعت القلادة رمتها أرضًا لتتناثر اجزاؤها وابتعدت، نظرت لعينيه وقالت:

حمدًا لله على سلامتك يا سيد ياسين.

-ن. نرجس انا.

- لا تتكلم هيا الآن فزوجتك بانتظارك.

أمسكها ياسين من ذراعها صائحًا:

-نرجس إسمعيني الآن. بغض النظر عن ذلك السحر أنا حقًا اعجبت بك من أول لقاء بيننا صدقيني أنا.

قاطعته باكية:

-دكتور ياسين أنت اسمعني.

انا لاانكر أني أعجبتُ بك حقًا، وظننت أني أحبك ولكن شعوري هذا كان ناجم عن نقصٍ بداخلي. كنت أحتاج إلى الحب والحنان الذين فقدتهما منذ زمنٍ طويلٍ جدًا ووجدتهما بك. وحتى لو عن طريق السحر كنت سعيدة لوجودك بجانبي واهتمامك بي والآن أنت لست مطالب بأي شيء ولتكن تلك ذكرى جميلة سأتذكرك بها. إرجع لزوجتك فهي تحبك، لا أحد منا خالٍ من العيوب، حاول أن تتجاهل عيوبها وعش حياتك بأمان واستقرار معها فأنا بكافة الأحوال لا اناسبك.

اعذرني الآن،

ولكن. . تركتهما ودخلت إلى الداخل

******

الفصل الأخير

نظر لها محمود بأسى واضح وقال لصديقه: هيا يا ياسين لم يعد لبقائنا هنا فائدة

أزاحت نرجس الستار ودخلت، كان وائل مايزال جالسًاعلى الأرض يرتجف هلعًا، رآها فأنكس رأسه خائفا تقدمت باتجاهه وفكت وثاقه وسارت باتجاه الباب.

-إذهب فأنت حر. عد لأطفالك وكن أبًا صالحًا، فما ذقته يكفيك، هيا اخرج بسرعة قبل أن اغير رأيي.

نظر لها وائل بعينين دامعتين ثم نهض بصعوبة من مكانه قائلا لها قبل أن تغادر.

-اسمعيني رجاءًا "

توقفت بمكانها واستدارت ناحيته فأردف:

-لربما أخطأت، بل أخطأنا أنا ووالدتك كثيرا في الماضي لكن.

صمت قليلًا قبل أن يتابع: لكل شيءٍ سبب،

في باحة منزلكم. وتحت شجرة التفاح بالتحديد هنالك صندوق مدفون في الأرض أخرجيه وستعرفين لما فعلنا ما فعلناه "

ثم مشى يعرج بقدمه باتجاه الباب نظر لها نظرة اخيرة قبل ان يهرول خارجًا

********.

عاد ياسين لزوجته التي صرخت فيه بمجرد وصوله

-أين كنتما منذ البارحة قلقت عليك جدًا ياسين، ما الذي يجري أرجوك اخبرني.

فقال لها محمود مبتسمًا:

-لا شيء أبدًا مجرد سوء فهم وانتهى أخيرًا أليس كذلك يا صديقي العزيز.

وقال لها ياسين بإنهاك:

-نعم انتهى. كل شيءٍ انتهى الآن.

******

وغادر محمود أخرج سيجارًا وجلس على الشرفة يدخنه ويفكر بكل الذي رآه وعاشه اليوم.

-حقا إن العالم غريب وبه من الأسرار ما لا يتخيله عقل بشر.

وأشرقت شمس الصباح، فشطفت نرجس وجهها وتجهزت وخرجت من القبر، وقفت أمامه وأخرجت تميمة من جيبها كان قد سلمها إياها حتب سخت عندما اقتادها إلى الغرفة

أمسكتها ووضعتها عند رأس التابوت وابتعدت فأغلق باب التابوت واختفى في الأرض وتموضعت فوقه طبقة سميكة من الأتربة لتطوى صفحة الماضي الى الأبد.

غادرت المقبرة واتجهت إلى منزل محمود، لملمت أغراضها بسرعة وفكرها معلق فقط بسر ذلك الصندوق، وذهبت لتلاقيه، طرقت باب مكتبه ودخلت.

-أهلا نرجس، أرى أنك تحملين حقيبتك.

آسفة يا سيدي ولكن ليس لي مكان بينكم تكفي تلك المشاكل التي سببتها منذ قدومي إلى هنا سأعود إلى قريتي ومن يدري لعل فرج اللهِ قريب.

توقف محمود أمامها قائلًا:

-أنا لم اطلب منك الرحيل وكما قلتِ سابقًا تلك الأمور كانت خارجة عن نطاق المنطق والعقل فلننسى ما حصل وكأنه مجرد حلم أو كابوس وانتهى الآن،أما بالنسبة لتلك القضايا فإنها ستقفل وستسجل ضدَ مجهول..

-صدقني وجودي لا داعي له وشكرا لك على كل شيء

والآن وداعاً

وتركته وغادرت ، ولم يعرف لما شعر بانقباضةٍ قويةٍ تعتصر صدره بعد رحيلها .

****

وعادت لبلدها ، لأحضان منزلها التعيس الذي يرقد بالظلام كما ترقد روحها ، ولمجرد وصولها ألقت الحقيبة أمام البوابة وهرعت باتجاه شجرة التفاح، أحضرت الرفش وبدأت بالحفر حتى اصتدم بشيء صلب ، رمت الرفش جانباً وانحنت على الأرض تنبشها نبشًا حتى بان لها الصندوق ، كان متوسط الحجم ، أخرجته وفتحته من فورها ، لم تبالي بتلطخ لباسها وسيلان العرق على جبهتا ، كان جل اهتمامها هذا الصندوق الغامض الذي يتربع الآن أمامها حاوياً عدة أوراق ، ودفترٍ صغير الحجم ،فتحته وقلبت بأوراقه لتقرأ ما كتب :

((ألا يكفيه أن أجبرني على الموافقة ، بل وهددني إن لم أنصع له ، سيكون والدي هو التالي ، لن يرحم رجلاً فقيراً يعتال على بيع الخضار لتأمين احتياجاتنا ، وهاقد وقعت بين نارين ، حبي لوائل ... وواجبي تجاه والدي المسكين من أن يناله الأذى ، يا الله كن معي ، ساعدني)) .

أغلقت الدفتر وهزت رأسها نفيًا ، لم تفهم نرجس من الذي هدد ولماذا ،مسحت العرق المنهمر من جبهتها وفتحت الدفتر مجدداً لتقرأ فيه،

كان مليئاً ..... أوراقه مجعدة دليل على دموع تساقطت وانهمرت أثناء كتابات صاحبته ...

تذكرته الآن ، إنه دفتر والدتها ، لطالما رأتها تكتب فيه ليلاً وبعيونٍ دامعة و عادت بها ذاكرتها لتلك الأيام ، وعادت تقرأ:

((أما آن لعذابي بين يديه أن ينتهي ، كل يوم صراخ وشتم ووحشية ، تعبت منه ومن جبروته وظلمه ، ما ذنبي إن كنت لا أحبه ،وما ذنبي في قضية ثأرٍ قديمة ، حتى وائل لم يغفر لي زواجي منه بادئ الأمر وظنني خنته وطعنت قلبه ، لم يفهم أني كنت مجبرة لحماية والدي من قضية ثأر غبية أطاحت بشباب العائلتين كنت أنا فيها كبش الفداء الوحيد ، من مات قد مات ومن بقي على قيد الحياة تدمر مستقبله إما بالسجن أو بعاهة مستديمة ترافقه ، وأنا لا أعرف هل سأعتبر نفسي ميتة !!! .نعم أنا ميتة ...

مبتة منذ أن سافر وائل غاضباً مني ، ميتة منذ أن تزوجت هذا الوحش الآدمي الذي أذاقني الويلات في كل يوم وليلة كانتقامٍ لروح أخيه))

****

((لربما ابتسمت الحياة لي ، اليوم تفاجأت بأني حامل ، أحمل طفلا صغيرا بأحشائي ، يا الله إن سعادتي لا توصف)).

******

((ولدت نرجس ، زهرتي الفواحة ، فرحة قلبي وملاكي الصغير الذي أعشقه ، أحببتها جداً ، كانت كاللعبة بين يدي أنسى معها كل شيء، والغريب أن معاملته صارت ألطف معي فجأة ، أحب الطفلة وصار يلاعبها))).

_*

((عاد وائل ، بعد عشر سنواتٍ من الفراق ، رأيته في الشارع وأنا أوصل نرجس إلى المدرسة ، توقف الزمان بي ، وتوقف الزمان عند عينيه الدافئتين ، نظر إلي بعتاب كبير ونظرت إليه بحبٍ أكبر)).

*****

((أمام ابنته يكون إنساناً آخر ، أكثر عطفاً ومحبة ، وعند الانفراد بي يعود الوحش الذي بداخله وتعود الإهانات تنهال على جسدي الذي يتحطم تحت وقع ضرباته ، لكن ما كان يريحني أنه يسافر كل بضعة أيام مع مجموعاته السياحية فأرتاح منه ومن جبروته ، بل يعود لي ذلك الحب الذي نسيته منذ زمن طويل ، وائل حبيبي ، ها قد شرحت له أخيراً سبب زواجي الرئيسي ، والغريب أن مشاعره ام تخمد تجاهي أبداً ، بل حبه لي ازداد وبدأت نيران الخيانة تحرق روحي وتغرقني بالخطأ معه ، صرت أخون زوجي معه ، معه فقط أشعر بأني أنثى ، معه فقط أشعر بأني إنسان واتفقنا أخيراً ...أنه لا حل لي سوى الهرب معه ومهما كلفتنا النتائج ، فالموت أرحم لي من العيش مع شيطان مثله)).

******

أغلقت نرجس الكتاب لكن شهقاتها ملأت المكان بعد.أن قرأت لساعاتٍ وساعات ،حياة والدتها ومعاناتها صياحها انبعث بقوة من حنجرتها ،حقيقةٌ ظهرت متأخرة فقلبت الموازين ، من ظنته ملاكًا كان شيطاناً مع والدتها التي كانت ببساطة مجرد ضحية لإيقاف إراقة الدماء بين العائلتين ، عاشت مظلومة وماتت أشنع ميتةٍ وحتى يعد موتها لم تسلم من الظلم والاضطهاد ، بل العار قد لحق بابنتها ،

حملت نرجس الصندوق وخطت بخطى بطيئة لداخل المنزل بروحٍ متهالكةٍ ومحطمة ،فتحت غرفتهما المقفلة وولجت الى الداخل تتأمل تفاصيلها التي تآكلتها الأغبرة، كانت صورةُ العائلةِ السعيدة كما هي على طاولةِ الزينة، تناولتها واستلقت على سريرهما، اعتصرت الصورة على صدرها و أجهشت ببكاءٍ مرير..

****

انقضى أسبوعٌ تتزاحم بين طياته الكآبة والفراغ، تلوك أيامه الوحدة لمحمود والحنين لأيامٍ قليلةٍ غريبةٍ عاشها بفضل تلك السمراء ولم يستطع صبراً على فراقها،باتصالٍ بسيط عرف مكان إقامتها وتوجه إليها ليعيد البهجة الى قلبه

طرق بابها ففتحت له،تسارعت ضربات قلبه عندما اضطربت هي الأخرى ودعته للدخول .

كان منزلها كئيباً بارداً وموحشاً ظهر ذلك جليًا له فلا نافذة مفتوحة ولا ستارة تسمح بدخول الشمس لتنير المكان ...مجردُ ظلامٍ كئيب"

وعلى الأرض تناثرت رسوماتها الغريبة مشوهة المعالم ...خطى الى الداخل أكثر ليجوب ببصره الأوراق..

تذكر ذلك الصندوق الذي رآه أسفل فراشها في ذلك اليوم ..فتقدم ناحيته ببطئ حمله وبدأ بلملمة الأوراق المتناثرة على الأرض، سألته نرجس بارتباك: ماذا تفعل

فأجاب بإصرار: ما يتوجب عليّ فعله .

و أكمل لملمة الأوراق حتى عثر على دفتر المذكرات، حمله بين يديه وقلّب فيه بسرعة ثم حدق فيها ورمى الدفتر داخل الصندوق، اتجهت إليه لتستعيده لكنه تجاهلها وخرج إلى الحديقة ... أمسك عود ثقاب وأضرم النار في الصندوق لتلتهمه بما فيه، صرخت نرجس من بعيد وهرعت تحاول استعادته لكنه تمسك بها ومنعها من الاقتراب،صارت تنشج باكيةً فضمها بين ذراعيه ليحدقا سوياً في كتلة اللهب المشتعلة .

****

وها قد اكتملت الحكاية .....إلاّ جزءٌ بسيطٌ منها

فيبدوا أنكم تتسائلون عن مصير (ست) بعد أن اختطفه حتب سخت أليس كذلك، لا احد من أبطال قصتنا يعرف ما حل به ...لكن منذ عِدة أيام وُجِدَ مجذوبٌ يجوب أحياء القاهرة يرتدي زيَّ فراعنةٍ مهترء خلفه يتراكض مجموعة صبيه يضربونه بالحجارة صائحين...

(العبيط أهو.....)

تمت بحمد الله

أعمال أخرى للكاتبة :
رواية رهينة الواقع العاجز
رواية جرح بملامح إنسان
رواية حطام(الفائزة بجائزة الطيب صالح للإبداع الكتابي في دورته الثانية عشرة 2022
بقايا ورق (مجموعة قصصية)

الاعمال الالكترونية
جنوني بعينيكِ انتحار
لحن الحب
الرقصة الأخيرة
لعنة حواء

للتواصل enas.salma2017@gmail.com